الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عباس لغرور- خنشلة-

كلية الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

شعبة:اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب قديم

الآراء النقدية في كتاب "قراضة الذهب" لابن رشيق القيرواني

بحث مقدم لقسم اللغة والأدب العربي لاستكمال مواد شهادة ماستر

إعداد الطالبة:

- زديرة شهيناز

إشراف الأستاذ:

- كمال طاهير

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
خذري عالمة	أستاذ مساعد – أ-	جامعة عباس لغرور خنشلة	رئيسا
كمال طاهير	أستاذ محاضر – ب-	جامعة عباس لغرور خنشلة	مشرفا ومقررا
رشيد خلايفي	أستاذ مساعد – ب -	جامعة عباس لغرور خنشلة	مناقشا

السنة الجامعية 2014*2015

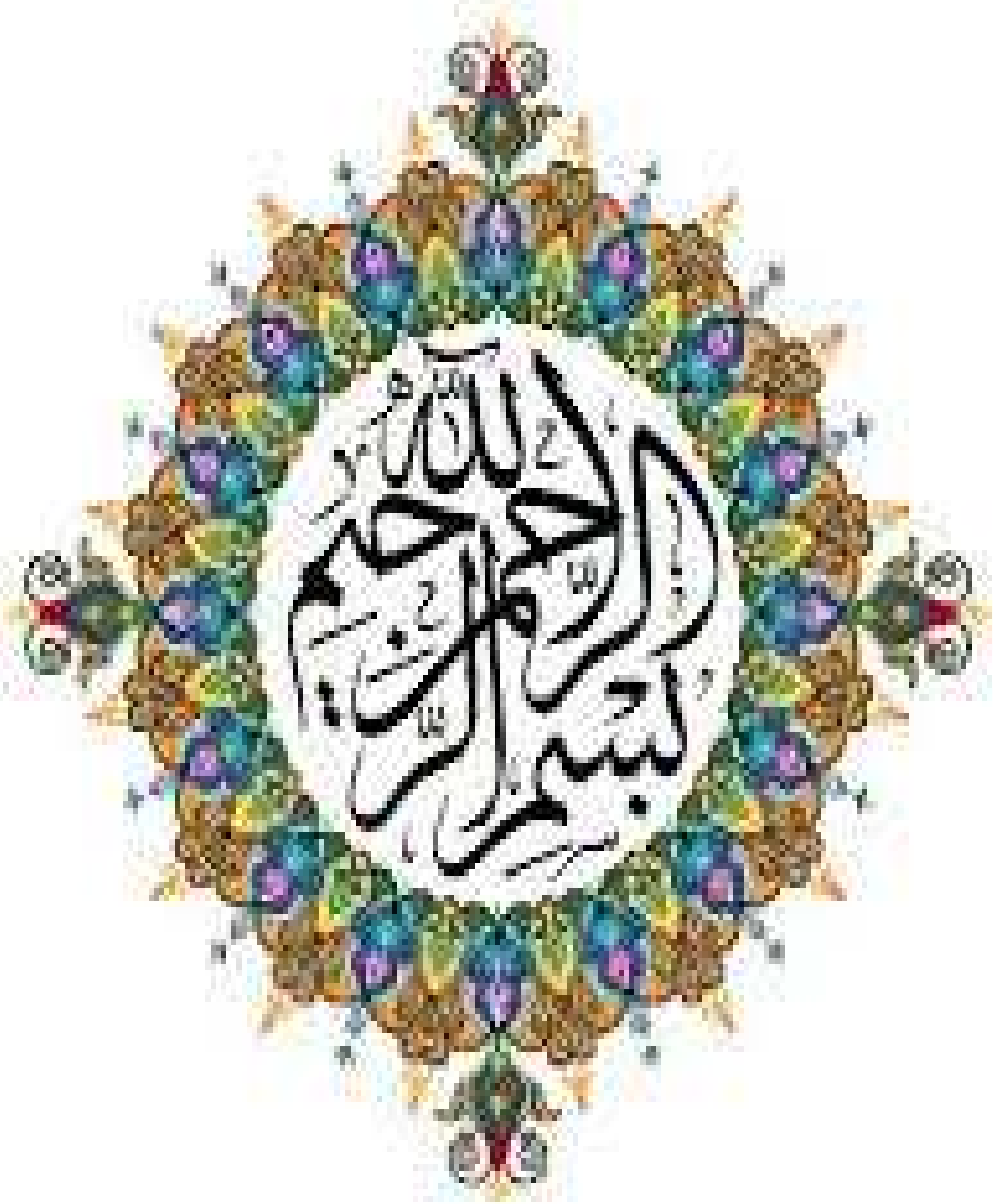
بسم الله الرحمن الرحيم

الدعاء

للهم اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه

وخير أيامي يوم ألقاك فيه

اللهم إني أسألك خير المسألة وخير الدعاء،

وخير النجاح وخير العلم وخير العمل.

آمين

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

"وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ"

[التوبة:105]

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ، ولا يطيب النهار إلا بطاعتك .... ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ... ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك.... ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك يا الله .

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة .. ونصح للأمة

إلى نبي الرحمة ونور العالمين ... سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار .... إلى من علمني العطاء بدون انتظار ... إلى من أحمل إسمه بكل افتخار... أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار وستبقى كلماتك نجوما أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد ... (والدي العزيز)

إلى ملاكي في الحياة... إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني.. إلى بسمة الحياة وسر الوجود ..إلى من كان دعائها سر نجاحي ...وحنانها بلسم جراحي.... إلى أغلى الحبايب .... (أمي الحبيبة)

إلى من بها أكبر وعليها أعتمد... إلى شمعة متقدة تنير ظلمة حياتي .. إلى من بوجودها أكتسب قوة ومحبة لا حدود لها ... على من عرفت معها معنى الحياة (أختي سميحة)

إلى الجواهر: نجود، لامية وهديل

إلى ابناء أختي: أسيل ، آياد وآلاء لالرحمان

إلى مقلة العين : إخواني سمير ، عزيز ، نذير ، بوجمعة ،هيثم ،لؤي

إلى الأخوات اللواتي لم تلدهن أمي ... إلى من تحلو بالإخاء وتميزو بالوفاء والعطاء ، إلى ينابيع الصدق الصافي ، إلى من معهم سعدت ، وبرفقتهم في دروب الحياة الحلوة أو الحزينة سرت ، إلى من كانوا معي على طريق النجاح والخير ، إلى من عرفت كيف أجدهم وعلموني أن لا أضيعهم ، صديقاتي:لبنى ، سهيلة ، راضية ، خليدة ، كاميليا

شهيناز

شكر وتقدير

لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان والإمتنان والتقدير إلى أستاذي الفاضل الكريم ، الأستاذ الدكتور " كمال طاهير" حفظه الله ، الذي رافق هذا البحث منذ ولادته ، وأفادني كثيرا بتوجيهاته العلمية والمنهجية القيمة ، وغمرني بكرم نفسه ، وعظيم تواضعه ، وطيب حفاوته ...

كما لا يفوتني التقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى كل أساتذتي في جامعة عباس لغرور :

د/ رشيد خلايفي ، د / خذري عالمة ، د / سمية فالق ، د / عون

.

خطة البحث

المقدمة

الفصل الأول : المرجعيات المعرفية و الموضوعية في القراضة

المكانة العلمية و الادبية للقيروان

اشهر اعلام القيروان

التعريف بابن رشيق القيرواني

اهم البيئات التى عاش فيها

شيوخه

تصانيفه

التعريف بالقراضة(مصادرها تحقيقها نشرها)

اهم مرجعيات ابن رشيق القيرواني في القراضة

الفصل الثاني : الاراء النقدية في كتاب قراضة الذهب في نقد اشعار العرب

السرقات الشعرية

اللفظ و المعنى

الطبع و الصنعة

الابداع و الاختراع

الخاتمة.

قائمة المراجع

مقدمة

يحظى تراثنا النقدي العربي، بكثير من الاهتمام والرعاية من قبل الباحثين والدارسين، والنقاد المحدثين الذين عملوا على نفض الغبار عن أمهات الكتب، وإخراجها إلى النور لتأخذ مكانها الصحيح، كما أراد لها مؤلفوها من جهة، ودراسة قضاياها الكثيرة والمتشعبة، واستنطاق نصوصها الفنية بالفكر والمعرفة الإنسانية، واكتشاف مكنونها وسبر أغوارها من جهة أخرى، وذلك وعيا منهم بقيمتها العلمية الكبيرة ،التي من شأنها أن تكون أساسا ثابتا تستند إليه العلمية النقدية الحديثة، ومنهلا تغترف منه الأجيال المتعاقبة ومنجزا يستفاد منه على مر العصور.

وعليه فإن الحديث عن النقد المغربي، هو شبيه بالحديث عن النقد العربي بصفة عامة، وذلك بأنه يمثل صفحة هامة في تاريخ الحركة الفكرية.

ولم تقتصر مباحث النقاد المغاربة في تلك الحقبة الممتدة بين القرن الثالث إلى القرن الثامن على ترديد تلك القضايا النقدية التي كانت معروفة من قبل النقاد المشارقة، فقد عرف المغرب تطورا ملحوظا في شتى الميادين حيث ظهرت حركة نقدية واسعة قادها نقاد لهم نفاذ بصيرة في الشعر ذوقا ومعرفة، ومن أبرز هؤلاء ابن رشيق القيرواني فقد ترك رصيدا علميا ومعرفيا كبيرا في مختلف فنون الأدب واللغة والنقد والتراجم لمشاهير الأدباء كما ترك ثروة في الأدب الإنشائي تتمثل في استعارة ورسائله الأدبية، وله عدة كتب وفي مقدمتها كتاب (**العمدة**) و(**قراضة الذهب**) و(**انموذج الزمان في شعراء القيروان**) فقد حظى كتاب **قراضة الذهب** باهتمام عدد كبير من الباحثين قدامى ومحدثين، اعترافا بقيمته ومكانته المتميزة، وتقديرا لريادته وفضله بوصفه رافدا أساسيا من روافد التأليف البلاغي والنقدي .

لكن ما زالت هناك جوانب ثرية يفيض بها الكتاب، تحتاج إلى مزيد من الإضاءات الكاشفة، والوقفات المتأنية بناءا على هذا أردنا أن نتناول موضوعا في النقد المغربي الذي استدعى انتباهنا لما فيه من قضايا نقدية وبلاغية لا تقل أهمية عن تلك التي عرفت في المشرق . وقد وقع اختيارنا على مؤلف " **قراضة الذهب لابن رشيق القيرواني** "الذي يعد من

أهم المراجع في القضايا النقدية والبلاغية بصفة عامة وما يحويه من ارث نقدي وبلاغي كبير، وعلى هذا فإشكالية بحثنا الموسوم **بالآراء النقدية في قراضة الذهب** تتمحور حول أهم القضايا النقدية الواردة في كتاب القراضة، ومحاولة معرفات مرجعيات هذه الآراء.

أما عن سبب اختياري لهذا الموضوع هو استجابة لرغبة جامحة كانت تراودني منذ أن وقفت في دراسات ما بعد التخرج، ذلك أنني لاحظت أن الأدب المغربي مازال يشكو من قلة الدراسات، فمعظم الدراسات التي اطلعت عليها لا تخرج عن نتاجات النقد العربي في المشرق وأعلامه من أمثال **الجاحظ، ابن طباطبا والجرجاني** وغيرهم، فتنوعت الدراسات حولهم وكثرت الموضوعات المقدمة حول نقدهم بينما لم يحظ النقد الأدبي في المغرب العربي وأعلامه إلا بالنصيب القليل، وإن وجدت الدراسات فان أصحابها ينعتون النقاد المغاربة بالتبعية المشرقية، و**ابن رشيق** من النقاد الذين اهتموا بالتبعية المشرقية، ولقد كثرت المقولات خاصة حول مصنفة النقدي النظري **العمدة،** مغفلين مؤلفاته الأخرى منها : "**انموذج الزمان في شعراء القيروان** " و"**قراصنة الذهب في نقد أشعار العرب**"

وعليه فان شغفي الشديد بالبحث في مجال النقد الأدبي بصفة عامة واعجابي بالناقد ابن رشيق القيرواني بصفة خاصة كان سببا وراء اختياري لهذا الموضوع .

لذلك أردت من خلال هذا البحث المتواضع، الوقوف على أهم القضايا النقدية في مصنفة "**قراصنة الذهب**".

فكتاب **قراضة الذهب** في تقديري يمثل الخلاصة الجامعة لزبدة ما توصلت إليه الحركة النقدية العربية التي دارت حول مختلف القضايا النقدية خاصة: قضية السرقات الشعرية، اللفظ والمعنى، الطبع والصنعة .... وعلى هذا الأساس كانت الإشكالية الرئيسية التي تناولها هذا البحث:

ما أهمية القيم والأسس والآراء النقدية وإجراءاتها التطبيقية في كتاب **قراضة الذهب** ؟

- ما إضافاتها إلى النقد العربي قبل وخلال القرن الخامس الهجري ؟
- ثم هل هذه الآراء والقضايا النقدية هل هي متفرقة وموجودة في النقد العربي ؟
- أم أنها متكاملة تمثل تصورا ورؤية منسجمة للنقد ؟

كل هذه التساؤلات كانت الأساس الذي انطلقت منها لتحديد أهداف هذا البحث والتي تتلخص فيما يلي :

- إظهار مكانة **ابن رشيق القيرواني** أدبيا وناقدا.
- عرض جهوده الأدبية والنقدية وتقويمها.
- تأصيل آرائه النقدية في كتابه **قراضة الذهب** ومناقشتها.

ولقد توزعت خطة البحث بعد هذه المقدمة على فصلين، إذ تناولت في الفصل الأول: الحركة النقدية في المغرب العربي وأهم المراكز الثقافية فيها مع إبراز المكانة العلمية والأدبية للقيروان مع ذكر مجموعة من أهم أعلامها وشعرائها وعلى رأسهم **ابن رشيق القيرواني،** والذي نحن بصدد دراسته مع ذكر أهم بيئات التي عاش فيها وكيف ساهمت هذه البيئات في تكوين شخصيته النقدية وذكر أهم الشيوخ الذين تتلمذ على يدهم، وذكر أهم الجهود الأدبية التي قدمها .

كما عرجت بالتعريف بالقراضة، الذي نحن بصدد دراسته، مع ذكر تحقيقها ونشرها، مع ذكر أهم المرجعيات التي اعتمد عليها في القراضة .

أما الفصل الثاني : فهو صلب الموضوع وعنوانه، فهو عنوان البحث نفسه ولقد كان مخصصا **للآراء النقدية في كتاب قراصنة الذهب** وابتدأته بالكلام على أهم قضية قام المصنف بدراستها، وهي **قضية السرقات الشعرية،** لأنها القضية التي شغلت حيزا كبيرا من كتاب **قراضة الذهب،** بحيث أنها تمثل أكثر من نصفه تقريبا، أي ما يعادل 60% منه، مما يوحي بأن السرقات الشعرية هي قطب الرحى في النظرية النقدية العربية القديمة .

أما القضية الثانية فهي تكملة للقضية الأولى وهي قضية اللفظ والمعنى، ثم قضية الطبع والصنعة ثم قضية الإبداع والاختراع .

وأخيرا **خاتمة** تناولت فيها استنتاجات ونتائج حول هذا البحث، وقائمة المصادر والمراجع.

ولتحقيق هذه الجوانب المتعددة من البحث، كان لزاما علي أن أتقيد بمنهج محدد، ولا أخفي هنا أني واجهت صعوبة في اختيار المنهج الملائم لمثل هذا الموضوع (الآراء النقدية في قراصنة الذهب) ولهذا السبب، لم أتبع في هذا البحث منهجا واحدا، وإنما رأيت من الحكمة أن أستفيد من مناهج نقدية متعددة، مثل المنهج: الوصفي التحليلي، والتاريخي والنقدي. ولعل الشيء الذي أملى علي هذا الاختيار هو تعدد القضايا المدروسة واختلافها، والتي قد لا يحيط منهج واحد بجميع جوانبها وأبعادها، فإذا استخدم البحث منهجا واحدا في هذه الحالة من دون سائر المناهج يعد ذلك شيئا جزئيا يستدعى من المناهج الأخرى للوصول إلى دارسة متكاملة للموضوع . وهكذا نهجت نهجا استقرائيا، معتمدة على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك لتتبع ورصد الظواهر النقدية التي احتواها كتاب (**القراصنة**)، وأهم المرجعيات التي اعتمد عليها المؤلف، أي البحث عن نقاط التأثر في الفكر النقدي العربي القديم، من غير إهمال للعنصر التاريخي الذي هو لازم ومطلوب لمن يخوض في قضايا التراث النقدي .

كما أنني استعنت لإنجاز هذا البحث بمجموعة من الكتب التي تنوعت واختلفت من فصل لآخر نظرا لاختلاف القضايا المدروسة، ولكن هذا لا يمنع من أن يتكرر بعضها لا سيما المصادر التراثية، ككتاب (**الموازنة**) للآمدي الذي يعد بحق أستاذ القاضي الجرجاني في التنظير والتطبيق لبعض القضايا النقدية والبلاغية، وكتابي الجاحظ (**البيان والتبيين**) و(**الحيوان**) بأجزائهما المختلفة . وكتاب (**الشعر والشعراء**) لابن قتيبة، وكتاب (**عيار الشعر**) لابن طباطبا العلوي، و(**الصناعتين**) لابن هلال العسكري .

وككل باحثة أكاديمية، صادفت بعض الصعوبات والعراقيل أثناء هذا البحث، يحتاج ذكرها إلى وقفة طويلة غير أنني استمتعت بانجاز هذا البحث، مما أنسني هذه الصعوبات والعوائق، كما استفدت منه كثير.

وعلى الرغم من تأكدي أن البحث شابه كثير من القصور والنقصان غير أنني حاولت إحياء جزء من التراث الأدبي المغربي القديم، وإخراجه من دائرة العتمة إلى دائرة الضوء.

ولهذا أرجو أن يكون بابا أمام الباحثين الآخرين والذي يرغبون في دراسة لكتاب **(قراضة الذهب)**، هذا الكتاب القيم والثري بمعارفه، متمنية أن يتداركوا النقائص، ويوفوا هذا المصدر التراثي حقه.

وفي النهاية، لا يسعني بعد حمد الله وشكره إلا أن أتقدم بشكري الجزيل إلى أستاذي المشرف على تزويدي بالمادة العلمية، وعلى ما تحمله من عبء في قراءة البحث حتى انتهى وصبر على النقائص التي كانت تتخلله في كل مرة، كما أتقدم بالشكر الكبير إلى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الذين يتفضلون بقراءة البحث ومناقشته، للوقوف على النقائص التي لم أنتبه إليها أو لم أكن في مستوى معالجتها، آملة أن أستفيد من ملاحظاتهم القيمة، وتوجيهاتهم السديدة التي من شأنها أن تثري البحث، فأستدرك ما خفي علي أو سهوت عنه.

كما أتقدم بالشكر إلى كل أساتذتي الذين ساندوني علميا ومعنويا وأرشدوني بنصائحهم القيمة، فإذا أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي، وعلى الله قصد السبيل

الفصل الأول

المرجعيات المعرفية و الموضوعية في القراضة

المكانة العلمية و الادبية للقيروان

اشهر اعلام القيروان

التعريف بابن رشيق القيرواني

اهم البيئات التى عاش فيها

شيوخه

تصانيفه

التعريف بالقراضة(مصادرها تحقيقها نشرها)

أهم مرجعيات ابن رشيق القيرواني في القراضة

توطئة:

لقد ارتبط النقد منذ القديم بالنشاط الأدبي، فهما صنوان لأنه إذا وجد الأدب ولاقى اهتماما، ظهر النقد الذي هو رفيقه ومرتبط به وهذا الأخير طبيعي في حياة الإنسان، لأنه الأساس الذي نعتمد عليه في تذوقنا للأدب ثم الحكم عليه بالإيجاب أو بالسلب، ويعرف على أنه التمييز بين الجديد والرديء يقول **قدامة بن جعفر** *: " **نقدت الدراهم وانتقدتها، أخرجت منها الزيف، وميزت جيدها من رديئها ومنه التناقد والانتقاد وهو تمييز الدراهم** " [2]

وعليه فان الحديث عن النقد المغربي، هو شبيه بالحديث عن النقد العربي بصفة عامة، وذلك بأنه يمثل صفحة هامة في تاريخ الحركة الفكرية.

فلقد شهد المغرب الإسلامي في أواخر القرن الثالث إلى القرن الثامن للهجرة حركة نقدية واسعة وديناميكية، حيث تنوعت قضايا النقد والبلاغة، وتعددت الآراء واختلفت المناهج فكانت تلتقي أحيانا وتفترق أحيانا أخرى، والمتتبع لهذه الآراء يقر بأن النقد المغربي القديم يعد امتدادا للآراء النقدية التي كانت سائدة في المشرق العربي، لكن هذا لا يعني أنه لا وجود لحركة نقدية ذات خصوصية في هذا القطر من العالم العربي، بل على العكس فإن تاريخ الأدب العربي يشهد على انتشار حركات علمية وأدبية ونقدية تحفظها مؤلفات عدة ويقودها رواد لازالت آراؤهم خالدة ومتداولة إلي اليوم .و لكن قبل الولوج إلى الحركة النقدية في المغرب العربي ومنهجها يجرد بنا أن نسلط الضوء على أهم المراكز الثقافية التي كانت توجد في المغرب إلى جانب القيروان، فنجد في تونس المهدية والقيروان، وفي الجزائر كانت المسيلة قلعة بن حماد وبجاية وتيهرت، وتلمسان .... بينما في المغرب ظهرت فاس ومكناس .....

*– قدامة ابن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي أبو الفرج، كان نصرانيا وأسلم على يد المكتفي بالله من مشاهير البلغاء والفصحاء الذين يضرب بهم المثل في البلاغة ومن الفلاسفة الذين يشار إليهم بالبنيان في علم المنطق والفلسفة .

[2] أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح وتع عبد المنعم الخفاجي، دار الكتب العلمية . بيروت د ط ، د ت، ص12.

ولكن من بين هذه الحواضر تميزت القيروان بصفة خاصة واستقطبت معظم الشخصيات والنشاطات الفكرية .[1]

هذه الأماكن كلها لعبت دورا في انتعاش الحركة الفكرية والثقافية حتى وإن كانت تعطيهم القليل الذي يجعلهم يتوجهون إلى القيروان [2].

نشأت مدينة القيروان في عهد الخليفة الأموي الأول معاوية ابن أبي سفيان على يد والي افريقية عقبة بن نافع الفهري سنة 56هـ (675م) فكانت قيروانا لجيش الفتح الإسلامي في بلاد المغرب وبنيت بعيدا عن الساحل البحري والخطر البيزنطي في سهل قريب من مجرى أودية موسمية وخططت المدينة الجديدة حول نواة جامع من الطين والحجر وفي أقل من قرن أصبحت بوابة المغرب السني الإسلامي الذي سرعان ما شمل بلاد الأندلس ومن بعدها جزيرة صقلية المجاورة، وكان للدولة الأغلبية الفضل في رسم ملامح المدينة وبناء معادنها الكبرى التي اشتهرت بها حتى أيامنا هذه. وقد كرست أعمال العلماء والأدباء ومهارة الحرفيين هذا العهد الذهبي من الثقافة القيروانية التي لم ينطفئ بريقها بعد قيام الدولة الشيعية الفاطمية، وتحول العاصمة مؤقتا إلى مدينة المهدية الساحلية، وقد استعادت القيروان مكانتها بقيام الدولة الصنهاجية وعودتها إلى المذهب السني المالكي الذي وحد العرب والبربر تحت راية الدين الإسلامي .

[1] بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط ، 1981، ص 32.

[2] –مدينة تونسية، تبعد حوالي 160 كيلومتر عن تونس العاصمة ويعود سبب أهميتها إلى دورها الاستراتيجي في الفتح الإسلامي فمنها انطلقت حملات الفتح نحو الجزائر والمغرب واسبانيا بالإضافة إلى أنها مثوى لعدد من صحابة رسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام.

أولا: المكانة العلمية والأدبية في القيروان :

كانت القيروان أولى المراكز العلمية في المغرب العربي تليها قرطبة في الأندلس، ثم فاس في المغرب الأقصى، ولقد قصدها أبناء المغرب وغيرها من البلاد المجاورة .و لقد كانت القيروان " أولى المدن التي تأسست في الإسلام، وقد ظلت طيلة قرون عديدة مركز الإشعاع الثقافي الديني كما كانت عاصمة سياسية طيلة نفس المدة تقريبا ". [1]

حيث كان للقيروان دورا كبيرا في نشر وتعليم الدين وعلومه بحكم ما علق على هذه المدينة من آمال في هداية الناس وجلبهم إلى افريقية، وهي نقطة هامة لاحظها الفاتحون منذ أن استقر رأيهم على إنشاء مدينة القيروان .

"وقد عاشت القيروان قمة ازدهارها الفكري والثقافي في فترة ممتدة ما بين بداية القرن الثالث الهجري ومنتصف القرن الخامس، فأصبحت في طليعة الحواضر الإسلامية الكبرى ويعد العصر الصنهاجي العصر الذهبي لإفريقية، حيث بلغت فيه ذروة حضارتها ومجدها، فتمتع أهلها بالرخاء والثروة والعلم والفنون الجميلة، فازدهر الأدب، وتدرج في مدارج الرقي والكمال، وراجت سوق الفكر والثقافة رواجا عظيما " [2]

وقد كان للكتب والمكتبات في ذلك العهد شأن كبير بحيث كانت المكتبات ملحقة بالجوامع والمدارس والزوايا كانت مفتوحة للدارسين، وتضم نفائس أمهات الكتب "ومن أشهر مكتبات القيروان بيت الحكمة، هذا البيت الذي أنشأه إبراهيم الثاني ألأغلبي 261-289 هـ / 875-902 م في رقادة بالقيروان محاكاة لبيت الحكمة التي أسسها هارون الرشيد في بغداد، حيث كانت هذه (**بيت الحكمة**) نواة المدرسة الطب القيروانية التي أثرت في الحركة العلمية في المغرب لزمن طويل

[1] محي الدين، ديب، ديوان ابن رشيق القيرواني، المكتبة العصرية، بيروت ،لبنان ، د ط ،1998 ، ص15.

[2] ينظر ،رابح بونار ،المغرب العربي تاريخه وثقافته ،ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر ،1981، ص39.

كما كان للمساجد دورا كبيرا في الحركة العلمية والأدبية ولعل من أشهر المساجد في تلك الفترة **مسجد القيروان** [1] الذي بناه عقبة بن نافع، وهو أقدم مساجد المغرب الإسلامي والمصدر الأول الذي اقتبست منه العمارة المغربية والأندلسية عناصرها الزخرفية والمعمارية، كما كان هذا المسجد ميدانا للحلقات الدينية والعلمية واللغوية التي ضمت نخبة من أكبر علماء ذلك العصر .

ولقد كان للحركة العلمية والأدبية دورا في ظهور مجموعة من الشعراء، وخير دليل على ذلك الكتاب الذي ألفه **ابن رشيق** أسماه "**أنموذج الزمان في شعراء القيروان** " تحدث فيه عن أكثر من مائة شاعر، ممن عاشوا فيها، سواء أكانوا من أهلها أو من الوافدين عليها .

[1] مسجد صغير المساحة، بسيط البناء، ولكنه لم يمضي على بنائه عشرون عاما حتى هدمه حسان بن نعمان الغسائي وأقام مكانه مسجدا أكبر من الأول . وفي عهد الخليفة هشام بن عبد الملك أمر بزيادة مساحته، وأضاف اليه حديقة كبيرة في شماله وفي عام 155م /724 هـ أعيد بناؤه على يد يزيد بن حالم .

ثانيا: من أعلام القيروان*

لقد تميز كل عصر من عصور القيروان بعدد وافر من الأسماء والأعلام في شتى ضروب العلم والمعرفة، لما كانت عاصمة المغرب العربي وأعظم مدن القارة الإفريقية ومنارة عالية للإشعاع الفكري والديني والحضاري في عصور الأغالبة والفاطميين والصنهاجيين ومن هؤلاء الأعلام: الإمام سحنون[2] وابن رشيق القيرواني وابن شرف[3]، وأسد بن الفرات[4] وابن الجزار [5] لكن المهمتين بالتاريخ يذكرون خصوصا اسم المعز بن باديس الصنهاجي [6] كأكبر رمز لما بلغته القيروان من حضارة في عهد الصنهاجيين، وعبد الله بن الأغلب الذي جعل من القيروان اسما ملأ الدنيا أما عقبة بن نافع [7] فإنه يظل الفاتح والمؤسس .

* مأخوذة من الملتقى الوطني الأول حول النقد الأدبي الجزائري، جامعة المسيلة الجزائر ،22.21 ماي 2009.

[2] هو أبو سعيد عبد السلام سحنون بن سعيد بن حبيب الشوخي، من أشهر فقهاء المالكية بالمغرب العربي، ولد بمدينة القيروان سنة 160هـ وتتلمذ لأكبر علمائها رحل الى المشرق طالبا للعلم سنة 188 هـ فزار مصر والشام والحجاز عاد الى القيروان سنة 191 هـ، وعمل على نشر المذهب المالكي تولى القضاء سنة 234هـ /848 م حتى وفاته في رجب سنة 240 هـ وفن بالقيروان

[3] هو أبو عبيد الله محمد بن أبي سعيد بن شرف الجذامي القيرواني (460.390 هـ/1067.999م) شاعر وأديب ولد بالقيروان . ونشأ بها، ودرس الفقه على يد أبي عمران القاسي وأبي الحسن القابسي، كما تعلم أيضا على يد أبي إسحاق إبراهيم ألحصري، غادر ابن شرف القيروان بعد خرابها على اثر الزحفة الهلالية فأنتقل إلى الهدية ثم صقلية ثم انتقل إلى الأندلس .

[4] أبو عبد الله أسد بن الفرات بن نسان قاضي القيروان : تلقى العلم بافريقية عن علي بن زياد ثم ارتحل الى المشرق، ثم إلى العراق ثم إلى مصر . وهو أول من أدخل مذهب الإمام مالك إلى الجزائر . توفي بمرض الطاعون سنة 213 هـ /828م .

[5] هو طبيب قيرواني أبو جعفر أحمد بن إبراهيم أبي خالد القيرواني المعروف بابن الجزار القيرواني وهو أول طبيب مسلم يكتب في التخصصات الطبية المختلفة مثل طب الأطفال وطب المسنين . يعتبر كتاب " زاد المسافر وقوت الحاضر " كتاب ذا قيمة طبية هائلة مازالت الكليات والجامعات تستفيد منه إلى حد الآن .

[6] المعز بن باديس (398هـ 4 شعبان 454هـ) 1008 م . 2 سبتمبر 1062 م) من أهم أمراء بنو زيري، استمر ملكه بافريقية والقيروان مدة 47سنة، وهي من أصول الفترات خلال العهد ألزيري إذ حكم بين 1015.406 / 1061.453.
للاطلاع اكثر على الشخصيات ينظر ويكيبيديا

[7] عقبة بن نافع الفهري القريشي بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الظرب بن أمية بن الحارث بن فهر بن مالك بن النظر بن كنانة هو قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، قائد من أبرز قادة الفتح الإسلامي الذين فتحوا بلاد المغرب في صدر الإسلام، استشهد عقبة بن نافع سنة 63هـ .

أما عن رواد الفقه في القيروان فهم كثيرون منهم الإمام سحنون، وكذلك أسد بن الفرات، ومحمد ابن الإمام سحنون بن سعيد وابن أبي زيد القيرواني .

أما عن الشعراء فقد اشتهر فيها، أبو عبد الله القزاز[1] القيرواني، والحسين بن رشيق القيرواني، وابن هاني الأندلسي [2]، وكان من بين علمائها عبد الكريم النهشلي [3]، عالم اللغة وكان من أهل الأدب أبو إسحاق ألحصري .

فمنطقة المغرب العربي القديم تزخر بكوكبة من النقاد الأفذاذ، والمؤلفات النقدية المتميزة، التي تنوعت بتنوع اتجاهات مانعيها، ومع بين ألمع الأسماء في سماء النقد والأدب في العالم العربي عموما، وفي بلاد المغرب على وجه الخصوص : أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، الذي جمع إلى حسن الشاعر ذوق الناقد وبصيرة المحقق.

هذا الناقد المتميز الذي استطاع أن يخلد اسمه في تاريخ النقد الأدبي بفضل مؤلفاته التي حظيت باهتمام الدارسين على مر العصور، ويكفي لنعرف فضله أنه صنف أحد أهم الكتب النقد التي لا تزال نتحكم إليها في محاولة فهمنا لأسرار الإبداع الأدبي : وهو **كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده** .

لذلك فهو يعتبر علامة بارزة في النقد العربي بعامة والنقد المغربي بخاصة.

- ✓ من هو الأديب الناقد **أبو الحسن علي بن رشيق القيرواني** ؟
- ✓ وما هي البيئات التي عاش فيها ؟و كيف ساهمت هذه البيئات في تكوين شخصيته النقدية والأدبية ؟
- ✓ من هم أهم الشيوخ الذين تتلمذ على يدهم ؟

[1] محمد بن جعفر التميمي . أبو عبد الله القرار، أديب عالم بالغة من أهل القيروان ولد في القيروان وتوفي فيها رحل الى الشرق، وخدم العزيز بالله الفاطمي (صاحب مصر) ثم عاد إلى القيروان ، فتصدر لتدريس العربية والأدب .

[2] ولد أبو القاسم مجد بن هاني بن سعدون الذي يتصل نسبه بحاتم بن قيبصة بن الملهب بن أبي ضفرة الأزدي، في اشبيلية رحل إلى المغرب ثم ارتحل إلى الاي، قتل ابن هانيء في برقة في 23 رجب 362 هـ لقب بمتنبي الغرب .

[3] أبو محمد عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي الجزائري إمامه من المسايا، كان أستاذ لابن رشيق القيروان توفي سنة 405.

- ✓ ما الجهود الأدبية التي قدمها ؟
- ✓ و ماهي أهم المرجعيات التي اعتمد عليها في القراضة؟

إذا سأحاول من خلال هذا البحث التعريف بالأديب والناقد **ابن رشيق القيرواني** .

لقد أجمع الدارسون على أنه ولد بالمحمدية، حيث إن ابن رشيق صرح هو بنفسه عن موضع ولادته، إذ يقول في هذا السياق :" مولى من مولى الأزد ولد بالمحمدية "[1]

أما عن الزمان الذي ولد فيه، إذ يواصل في نفس السياق :" ولد بالمحمدية سنة 390 هـ، ونشأ بها وتأدب يسيرا "[2]

فمن خلال هذين القولين لابن رشيق، نستطيع أن نستخلص ما يلي :

" هو أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، الأزدي، شاعر وناقد، أديب ومصنف، ولد سنة تسعين وثلاثمائة من الهجرة بمدينة المحمدية بالمغرب، فكان يعرف بالمحمدي أو ألمسيلي نسبة إلى المسيلة وهو الاسم القديم لتلك المدينة .

كان أبوه روميا من موالي الأزد فنسب اليهم، عاش ابن رشيق بين أواخر القرن الرابع الهجري، والنصف الأول من القرن الخامس أي القرن الحادي عشر ميلادي "[3]

ولقد كانت العلوم والفنون في هذا العصر قد تطورت في المغرب تطورا كبيرا، بحيث تركزت مختلف الأنشطة الاجتماعية والعلمية والأدبية في مدينة القيروان، بحيث كثرت الدواوين والمساجد وحلقات العلم والأدب، وأدي التنافس بين الأدباء والشعراء الى حركة فكرية وأدبية لم تر إفريقية مثلها في أي عصر من العصور .

---

[1] ابن رشيق، القيرواني، انموذج الزمان في شعراء القيروان، جمع وتح محمد العروسي، ويثير البكوش، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط،د ت ،ص 39.

[2] المصدر نفسه، ص39.

[3] ابن رشيق القيرواني . **العمدة في محاسن الشعراء وآدابه ونق**ده، تح عبد الحميد هنداوي، ، المكتبة العصرية، بيروت ، ط 1، 200، ج1 ،ص5.

ثالثا: أهم البيئات التي عاش فيها :*

ان التنوع في البيئات التي عاش فيها الأديب والناقد ابن رشيق أدى الى خلق تنوعا في ثقافته، بحيث ساهمت تلك البيئات، التى نحن بصدد ذكرها الى نمو منهجه الأدبي والثقافي، كما ان دراسة نص، يقتضي بالدرجة الأولى استحضار بيئة الأديب والشاعر والحياة التي عاش فيها ولعل من أهم المدن التي عاش فيها ابن رشيق :.

1/ المحمدية :

تعد المحمدية مسقط رأس ابن رشيق ومكان نشأته حيث اتسمت بالطابع الثقافي لكونها هاجر اليها كثير من الأدباء والعلماء . ولقد ارتحل اليها **ابن هانيء الأندلسي** .

2 / القيروان :[2]

هي مدينة في تونس، تركزت معظم الأنشطة الاجتماعية العلمية والأدبية فيها، لاحتوائها على أكبر المساجد والزوايا التي ساعدت في نمو الحركة الفكرية والأدبية فيها يقول بشير خلدون في هذا السياق :"هي من المراكز العلمية والأدبية في المغرب الاسلامي، كانت تعد كعبة العلم في هذه المنطقة " [3]

ولعل من أهم ثراءها الثقافي هو الحكم الصنهاجي الذي عرفت فترته بالعصر الذهبي، وزاد اشعاعها العلمي والثقافي حكم المعز ابن باديس الذي شجع الناس على العلم والإقبال على الأدب .

ومن الأسباب التي أدت إلى ثرائها الثقافي، البعثات العلمية حيث كان إبراهيم بن أحمد يبعث كل عام بعثة إلى بغداد هدفها اقتناء نفائس الكتب المشرقية سواء كانت هذه الكتب في

*-ينظر: مذكرة تخرج لنيل درجة الماجستر في الأدب المغربي القديم للطالبة فريدة مقلاتي تحت اشراف الدكتور محمد زرمان . جامعة الحاج لخضر . باتنة السنة الجامعي 2009/2008، ص14الى 20.

[2] لفظ فارسي أصله كاروان وهو من الألفاظ المعربة قديما تعني استراحة القوافل،ينظر ياقوت الحموي ،معجم الادباء،ص 42و43 .

[3] بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص21.

الحكمة أو الفلك ....الخ، مما لا نظير له في المغرب واستقدام مشاهير العلماء في العراق ومصر.

كما استقدم أيضا أعداد كبيرة من علماء الفلك والطب والنبات والهندسة والرياضيات من المشرق إلى المغرب.

رحل ابن رشيق إلى القيروان لما سمع عن وجود علماء وشعراء بحيث لم يقتنع بما لديه في المحمدية من مصادر أدبية ولما رغب في التزيد من الأدب، وتاقت نفسه الى ملاقاة أهل العلم والفن رحل إلى القيروان سنة 406 هـ ولقد كانت القيروان حاضرة العلم والأدب فمدح ملكها المعز بن باديس (ت 453 هـ /1061 م) وأمضى أربعين سنة ما بين قصره وحلقات العلم في المسجد، فعرف بالقيرواني .

ولقد استفاد ابن رشيق كثيرا من الأجواء العلمية والأدبية كما أنه أنجز جل كتاباته في القيروان، وخير دليل على ذلك كتابه **العمدة** الذي أهداه إلى أبو الحسن على بن أبي الرجال الذي كان رئيسا لديوان الإنشاء في قصر المعز بن باديس .

و"**انموذج الزمان في شعراء القيروان** " وهذا يدل على وجود نهضة علمية وأدبية في هذه المدينة.

وهكذا يمضي **ابن رشيق** في القيروان الفكر والأدب، معززا مكرما غالب عمره الحافل، مدة أربعين عاما عاش خلالها حياة الخصب والنماء الفكري والمادي، وفتح عينيه وقلبه على آفاق واسعة، وأمدته بزاد لا ينبض إلا بالفكر والعلم والأدب والتجارب الحياتية المختلفة

المهدية :*

*المهدية توجد بافريقية، تنسب إلى المهدي وهو أحمد بن إسماعيل الثاني بن محمد بن إسماعيل الأكبر بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن على بن أبي طالب اختارها المهدي لأنه سمع أن هذا الموضع يسمى بجزيرة الحلفاء فأعجبه الاسم فبناها سن 303 هـ وجعلها دار مملكته وانتقل إليها سنة 308 هـ .

كانت تعد من أهم المراكز الثقافية في الغرب الإسلامي ولقد ساهمت في انتعاش الحركة الفكرية والثقافية رغم صغر مساحتها .

يقول حسن حسني عبد الوهاب في هذا السياق : " المهدية مدينة جليل قدرها شهير في قواعد الإسلام ذكرها وهي من بناء عبد الله المهدي سنة (303 هـ) "

رحل **ابن رشيق القيرواني** إلى المهدية بعد أن دخلت قبائل بن هلال وسليم الى القيروان وذلك سنة 422 هـ فخرج **المعز بن باديس** ومعه **ابن رشيق القيرواني** رفقة حاشيته الى المهدية سنة 449 هـ التي كان يحكمها **المعز الأكبر الأمير تميم** [1]

وقد أقام **ابن رشيق** في المهدية مع المعز حتى توفي الأخير فيها سنة 454 هـ وقد حزن على وفاته حزنا شديدا، وقد رثاه بشعر حزين ومؤثر.

غير أن الحركة الأدبية والعلمية لم تكن ناشطة بنفس البريق الذي كان يشع من القيروان.

ومن أشهر شعره الذي قاله في مدح "**تميم بن المعز** " أمير المهدية :

أصح وأقوى ما سمعناه في الندى من الخبر المأثور منذ القديم

أحاديث ترويها السيول عن الحيا عن التحر عن كف الأمير تميم [2]

صقلية :*

كان **ابن رشيق** نزيل صقلية، غير أن ابن شرف القيرواني كان قد سبقه إليها، كما سمع عن كرم أميرها وكانت بين الأديبين الكبيرين في القيروان مناقضات، أزكى نارها التنافس الأدبي بينهما، وإلتفات الأمير المعز إلى هذا تارة وإلى ذاك تارة أخرى، فلما اجتمعا بصقلية تسامحا

[1] ينظر:عبد الرؤوف مخلوف، ابن رشيق القيرواني، عن القسم الرابع من الذخيرة مصورة عن مخطوطة بمكتبة الجامعة المصرية ،د ط ،د ت، ص 97و 99.

[2] ابن رشيق القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، ص6.

* هي جزيرة تقسيم البحر المتوسط قسمين : . قسم شرقي وقسم غربي، وتبعد عن ايطاليا بحوالي ثلاثة كيلومترات، وعن تونس مائة وعشرين كيلومترا، فتحها الأغالبة في أوائل القرن الثامن ميلادي، حكمها عدد من الولاة الأغالبة إلى أن استقر الحكم لأمراء الأسرة والكلبية عام 945 .

وأقاما بها زمنا ثم استنهض ابن شرف [1] رفيقه على جواز الأندلس فأنشد ابن رشيق البيتين المشهورين :

مما يزهدني في أرض أندلس أسماء مقتدر فيها ومعتضب

ألقاب سلطنه في غير مملكه كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد .

لقد عرفت هذه البيئة بانتعاش الجو الثقافي فيها.و لقد كان بيئته بمثابة منتدى أدبيا يلتقي فيه الأحباب وعشاق في ظل قادم عزيز وكاتب وناقد وشاعر كبير، ولقد كان ابن رشيق يقرأ عليهم كتابه **العمدة،** فكان يأخذ منهم ويأخذ من عنده، وكان العلماء في صقلية يحبون **ابن رشيق** وكتابه ويشغفون بهما، فهذا أبو عمرو وعثمان بن علي بن عمر الخزرجى الصقلي يضع مختصرا للعمدة يسميه (العدة) [2] وهذا الشاعر ابن خمديس الصقلي، يفتن بابن رشيق، فيقلده تارة ويعارضه تارة أخرى .

و هكذا استحوذ **ابن رشيق** برثائه الأدبي على مكانة مرموقة بصقلية، كما كان زعيم البلاط الأدبي **للمعز بن باديس** في القيروان .

و لقد توفي **ابن رشيق** بصقلية وذلك سنة 456 هـ [3] وعليه نستطيع أن نستخلص أن **ابن رشيق** قد ولد وترعرع في المحمدية التي ازدهرت فيها الحياة الثقافية والأدبية والعلمية آنذاك، بالإضافة إلى المهدية والقيروان التي تعد دار العلم بالمغرب فهناك مصدر آخر استقى منه ابن رشيق ثقافته ولعل أهمها ثقافته بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف فقد أثرا في ثقافته فقد مثل الثقافة الإسلامية والنقدية والأدبية واللغوية .... تمثيلا رائعا.

[1] ابن رشيق القيرواني . **العمدة**، ص6.

[2] ينظر: ابن رشيق القيرواني، العمدة، ص9.

[3] المصدر نفسه، ص 9.

رابعا: شيوخه:

تتلمذ ابن رشيق على عدد من شيوخ، وعلماء عصره، فأخذ عنهم مشافهة أو مناقشة أو دراسة، فتشبع بثقافاتهم، وعلومهم المختلفة باختلاف أفكارهم وثقافتهم، ولعل أبرزهم:

1- **أبو الحسن على بن أبى الرحال** ،وكان رئيسا لديوان الإنشاء في قصر المعز بن باديس، وهو الذي سعى إلى تعيين ابن رشيق كاتبا فيه، فأهدى إليه ابن رشيق كتاب **العمدة** عرفانا بجميل صنعه وتكريما له .

2- **أبو عبد الله محمد بن جعفر القزار القيرواني** : وقد تأدب ابن رشيق على يديه، وكان من أشد المعجبين به إذ كان إماما باللغة بارعا بعلومها.

3-**أبو اسحاق ابراهيم بن على الحصري**

4- أبو محمد عبد الكريم النهشلي : كان شاعرا وأديبا ولغويا نقل عنه ابن رشيق الكثير، كما تمثل بشعره في كتابه العمدة [1] هذا فيما يخص الشيوخ الذين تتلمذ ابن رشيق على يدهم، بحيث كانوا مصدرا أصيلا في تكوين ثقافته كما أنه كان هناك رافد أخر ساهم في تكوين ثقافته النقدية، وهذا الرافد يتمثل في الثقافة المشرقية حيث تردد العديد من أسماء المشارقة في مؤلفاته وخاصة العمدة، فقد ذكر **الأصمعي** وروي عنه في مواضع كثيرة [2]

من عمدته .

كما أخذ عن **الجاحظ** وأخذ برأيه في البلاغة والتضمين وعن **ابن قتيبة** فيما يخص المجاز واللفظ، وعن **ابن طباطبا**[3] فيما يخص موضوعات الشعر، وعن **قدامة بن جعفر** فقد أخذ

[1] ابن رشيق، القيرواني، العمدة، ص 9.

[2] المصدر نفسه، ص91.

[3] أبو الحسن بن طباطبا محمد بن أحمد بن محمد القرشي، عالم وشاعر وأديبا ولد في أصفهان وتوفي فيها (ت.322هـ/934 م).

عنه فيما يخص التشبيه والتمثيل والإيغال، أما عن **الجرجاني** فقد أخذ عنه الاستعارة والسرقات الشعرية [1]

لكن هذا لا يعني أن **ابن رشيق** كان يعيد ما يقرأه عن سابقيه أي لم يكن مجرد قارئ عادي، بل كان قارئا متميزا بحيث كان يصهر ما يقرأه ويخرجه للمتلقين في ثوب جديد، وهذا بفضل إعمال عقله، وذكائه وفطنته.

وأخيرا، يمكن القول أن هذا التنوع في البيئات الثقافية التي عاش فيها، وتعدد الشيوخ الذين تتلمذ على أيديهم واحتكاكه ببعض الشعراء **كابن شرف القيرواني** سمحت له موهبته باكتساب التجارب والمعارف الأدبية والنقدية التي استعان بها في إبداع كتاباته النقدية.

[1] فريدة مقلاتي، نظرية الشعر عند ابن رشيق القيرواني، ص 28و 29.

خامسا: تصانيفه[1] :

قاربت الثلاثين كتابا في الأدب والنقد واللغة والشعر ومن أبرزها:

1. كتاب "العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده " وهو الذي اشتهر به وذاع صيته .
2. كتاب قراضة الذهب في نقد أشعار العرب .
3. كتاب أنموذج الزمان في شعراء القيروان .
4. طراز الأدب
5. الممادح والمذام
6. متفق التصحيف
7. الاتصال
8. تحرير الموازنة
9. أرواح الكتب
10. الشذوذ في اللغة
11. غريب الأوصاف ولطائف التشبيهات لما انفرد به المحدثون
12. شعراء الكتاب
13. فسخ الملح ونسخ اللمح
14. المعونة في الرخص والضروريات
15. الرياحين
16. ميزان العمل في تاريخ الدول

[1]–ابن رشيق القيرواني: **العمدة**، ص:9

17. الأسماء المعربة

18. شرح موطأ مالك

19. صدق المدائح

20. ساجور الكلب

21. إثبات المنازعة

22. نجح الطلب

23. معالم التاريخ

24. قطع الأنفاس

25. الحيلة والاحتراس

26. الرسالة المنقوصة ورسالة رفع الأشكال .

فقد كانت هذه مختلف الجهود الأدبية التي خلفها لنا ابن رشيق . وما نلاحظه على هذه الجهود أنه ترك لنا رصيدا علميا ومعرفيا كبيرا في مختلف فنون الأدب واللغة والنقد والتراجم لمشاهير الأدباء، كما ترك لنا ثروة تتمثل في أشعاره ورسائله الأدبية، ومن أشهر الكتب التي ذاع صيتها كتابه العمدة وقراضة الذهب الذي نحن بصدد دراسته .

وقد انفرد هذا الأخير بالشهرة والانتشار لما فيه من مقايس بلاغية ونقدية ولاحتوائه على قيمة أدبية بين سائر الكتب في المنظومة التراثية القديمة .

سادسا: التعريف بالقراضة:

فهو كتاب بلاغي نقدي، تاريخي أدبي يبقى أهم ما أنجز في النقد بالمغرب العربي القديم، لا تزال له أهميته وحيويته في النظرية الشعرية خصوصا وفي الدراسات النقدية والأدبية عموما.

فقراضة الذهب في نقد أشعار العرب، يعني بالدرجة الأساسية سرقات الشعراء، فهو كتاب نقد تعرض فيه لبعض الشعراء فوضع مقاربة بين إنتاجهم ومن سبقهم، فيرد المستحدث المولد إلى صاحبه الأصلي، بداية من العهد الجاهلي حتى عهد **ابن رشيق** .

مصادرها:

كانت المادة العلمية لقراضة الذهب في نقد أشعار العرب مبثوثة في تضاعيف مصادر التراث البلاغي والنقدي وكتب التراجم والسير إلى ما قبل عام 1969 م

حتى قام الأستاذ **الشاذلي بويحي** بتحقيق هذا الجهد **لابن رشيق** واستخرجه من مضانه وبذلك يتبين لكل مطلع على نسخة القراضة التي حققها أن مادتها استخرجت من المصادر التراثية التالية :

1-**ديوان ابن رشيق**:. فقد حوي شواهد كثيرة منها هذه الأبيات في رثاء الأمير أبي منصور:

ألم ترهم كيف استلقوا به ضحى إلى كنف من رحمة الله الواسع

أمام خمسين ماج في البر بحره يسير كمتن اللجة المتدافع[1]

يعلق محمد بن سعد الدبل بقوله وجدت هذه الأبيات في **ديوان ابن رشيق** كما وجدت أيضا في القراضة من نسخة المحقق .

[1] محمد بن سعد الدبل، المقاييس البلاغية والنقد في قراضة الذهب في نقد أشعار العرب، ط 2، 1431، 2010 م، ص 15و16.

2- **المختار من شعر بشار** : فقد ورد فيه شواهد ثابتة في القراضة ومنها **لإبراهيم النهشلي** في وصف اندفاع الماء في الجدول الجاري :

قد صاغ فيه الغمام أدمعه درا ورواه جدول غمر

بجيش فيه كأنما رعشت إليك منه أنامل عشر

3-**الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني** :حول بيت عبد الله بن العباس الربيعي في وصف البرق:

كأن تقلبه في السماء يدا كاتب أو يدا حاسب

4-**كتاب الأنواء لابن قتيبة** :حول قول الشاعر في وصف الشمس حال الطلوع والغروب:

والشمس كالمرآة في كف الأنشل .

5-**و الشعر والشعراء لابن قتيبة** حول بيت من شعر أبي نواس:

أو كقرن الشمس تنشق منه شعب مثل انفراج البنان .

6-ديوان امرئ القيس : فقد أكثر ابن رشيق من الاستشهاد بشعر امرئ القيس في القراضة وخير دليل على ذلك قوله في السحاب :

كلمع اليدين في حبي مكلل[1]

7-**ديوان زهير حول البيت** :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعري أفراس الصبا ورواحله .

8-ديوان أبي تمام

9-ديوان بشار بن برد

10-ديوان ذي الرمة

[1] محمد بن سعد الدبل، **المقاييس البلاغية والنقد في قراضة الذهب في نقد أشعار العرب**، ص 18و19.

11-ديوان المتنبي

12-**كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة** حول رواية هذا البيت ممن اتبع امرأ القيس :

له قصر يا ريم وشدقا حمامة وسالفتا هيق من الزج أربدا

13-**جمهرة أشعار العرب لابن زيد القرشي** حول بيت طرفة بن العبد في وصف عقاب:

وعجزاء دقت بالجناح كأنها مع الصبح شيخ في بجاد منقع

-نفخ الطيب للمقري .

- نقد الشعر لقدامة بن جعفر

- الصناعتين لأبي هلال العسكري.

- الفضليات للضبي

- العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي.

- وفيات الأعيان[1]

ومن مصادرها أيضا :

-**العمدة لابن رشيق** فكثيرا ما يشير إلى الموضوعات النقدية التي يعد بإنجازها في كتاب قراضة من ذلك قوله في السرقات :

" وقد ألف العلماء والنقاد في سرقات الشعراء كتباعده، وصنفوا تصانيف كثيرة اختلفت فيها آراؤهم . وتباعدت طرائفهم غير أن أهل التحصيل مجمعون من ذلك على أن السرقة إنما تقع في البديع النادر والخارج عن العادة " [2].

[1] محمد بن سعد الدبل، المقاييس البلاغية والنقد في قراضة الذهب في نقد أشعار العرب، ص 19و20.

[2] ينظر: المرجع السابق، ص 30،31.

إلى غير ذلك من مصادر البلاغة والنقد والأدب وأشعار الشعراء التي تخيرها ابن رشيق كمادة لمقاييسه النقدية في القراضة وقد أثبتها المحقق في هوامش نسخته التي نشرها عام 1969م.

قراصنة الذهب في نقد أشعار العرب :

وهو كتاب مطبوع . نشر مرتين، الأولى نشرة الخانجي : بالقاهرة سنة1344هـ/1926 م ،وقد وقع فيها الكثير من الخلط، والتصحيف لافتقارها لأهم مقومات النشر العلمي كما يقول صاحب النشرة الثانية الأستاذ المحقق **الشاذلي بويحي** التي صدرت عن الشركة التونسية للتوزيع عام 1972 م في مئة وتسع من الصفحات بعد حذف مقدمة المحقق، والفهارس .

أما عن تحقيقات القراضة فهناك مخطوطتان أشار إليهما المحقق **بويحي** وهما :

- مخطوطة باريس بالمكتبة الوطنية برقم 3418
- ومخطوطة القاهرة برقم 1452 أدب (بدار الكتب)[1].

أما عن الموضوعات التي عالجتها القراضة فهي مواضيع نقدية بالدرجة الأولى، ثم بلاغية. وليس موضوع القراضة السرقات الشعرية كما ظن الكثير ممن لم يتأمل الكتاب ولكنه دراسة نقدية مقارنة أساسها التحليل والموازنة في تطور الإبداع الشعري، وتتبع المعاني الشعرية ووجوه البديع في شعر الشعراء منذ العصر الجاهلي حتى عصر **ابن رشيق**، ومدى وقوف هؤلاء الشعراء على هذه المعاني المخترعة بعد مخترعها الأول، وإحسانهم في ذلك أو إخفاقهم أو زيادتهم أو نقصهم .

–و يعد كتاب **(قراضة الذهب في نقد أشعار العرب) لابن رشيق القيرواني** من أبرز المصادر النقدية التراثية حيث جمع بين دفتيه أهم القضايا النقدية والبلاغية التي شغلت ذهن الناقد العربي التراثي ومصدرا للكثير من الآراء النقدية .

[1] ينظر ابن رشيق القيرواني، **قراضة الذهب في نقد أشعار العرب** ، ص،8،9،10.

سابعا: مرجعيات ابن رشيق القيرواني في كتابه القراضة:

لقد اعتمد **ابن رشيق القيرواني** في كتابه القراضة على مرجعيات استطاع بواسطتها إثراء مادته الأدبية والنقدية، ولعل من أهم القضايا النقدية المشتركة بين **ابن رشيق** وغيره من البلاغيين والنقاد، بحيث نجد جملة من العلماء الذين تأثر بهم **ابن رشيق** وأفاد منهم في دراسة عدد من القضايا النقدية في القراضة وعلى رأسهم **الجاحظ** * (ت 225 هـ) حيث تأثر به **ابن رشيق** وذلك من خلال قوله عن السرقات " أنه لا يعلم في الأرض شاعر تقدم الى تشبيه مصيب تام، وفي معنى غريب عجيب، أو في معنى شريف كريم، أو في بديع مخترع إلا وكل من جاء من الشعراء من بعده أو معه إن هو لم يعد على لفظه فيسرق بعضه أو يدعيه بأسره، فإنه لا يدع أن يستعين بالمعنى، ويجعل نفسه شريكا فيه "

فالسرقة عند **الجاحظ** تعد من طبيعة الخلق الفني، فضلا على أنه أمر ملازم بين كل سابق ولاحق، على أنه في نصه السابق يشير إلى حدود التداول ومعالمه، فالتداول لا يعني النقل المباشر بقدر ما يعني الاستحياء الذي لا يعاب عند **الجاحظ**، فالمعاني عامة واستحياء الشاعر لها في بنائه الفني أمر مألوف .

ومن مصادر النقد الأدبي التي تأثر باتجاهها وأفاد من موضوعاتها **ابن رشيق** من خلال مصنفه القراضة، كتاب " **الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري** " للآمدي (ت 370هـ)، فالسرقة عنده : " إنما هي في البديع المخترع الذي يختص به شاعر، لا في المعاني المشتركة بين الناس، التي هي جارية في عاداتهم، ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم، مما ترتفع الظنة فيه عن الذي يورده أن يقال إنه الذي أخذه من غيره " [2]

فالاشتراك في المعاني العامة يعد أساس التداول عنه **الآمدي**، فيرى أنه غير منكر شاعرين مكثرين متناسبين من أهل بلدين متقاربين أن يتفق في كثير من المعاني، ولاسيما ما تقدم

*الجاحظ الكناني هو أبو عثمان بن بحر بن محبوب بن فزازة الليثي الكناني البحيري (159هـ-225هـ) أديب عربي، كان من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي

[2] ماخوذة من محاضرة د/ بن بوزة للسنة الاولى الموازنة، للأمدي ، ج3، ص313.

فيه، وتردد في الأشعار ذكره، وجرى في الطباع والاعتياد من الشاعر وغير الشاعر استعماله "[1]

فهو بهذا يلفت إلى الأساس الذي يقوم عليه تداول المعاني، والذي يعني الاشتراك في المعاني العامة وشيوعها بين الشعراء، مما يستوجب عدم لوم شاعر على نقلها عن غيره من السابقين عليه .

ومن بين النقاد الذين تأثروا بهم **ابن رشيق القيرواني** القاضي **الجرجاني** حيث يقول في هذا السياق " وقد يتفاضل متنازعوا هذه المعاني بحسب مراتبهم من العلم بصنعة الشعر فتشترك الجماعة في الشيء المتداول، وينفرد أحدهم بلفظة تستعذب أو ترتيب يستحسن ،أو تأكيد يوضع موضعه، أو زيادة اهتدى لها دون غيره، فيريك المشترك المبتذل في صورة المبتدع المخترع كما قال **لبيد:**

وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها

فأدى إليك المعنى الذي تداولته الشعراء، قال **امرؤ القيس** :

لمن طلل أبصرته فشجاني كخط زبور في عسيب تماني

وقال حاتم :

أتعرف أطلالا ونؤيا مهدما كخطك في رق كتابا منمناما

وقال **الهذلي** :

عرفت الديار كرسم الكتا ب يزبره الكاتب الحميري [2]

[1] المحاضرة السابقة :**الموازنة، للآمدي**، ج 1، ص53.

[2] القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه ،تح احمد عارف الزيف، صيدا، د ط، 1331هـ ، ص 186.

وأمثال ذلك مما لا يحصى كثرة، و لا يخفى شهرة، وبينه وبين لبيد وبينهما ما تراه من الفضل وله عليها ما تشاهد من الزيادة والشف "[1]

و يعد النص السابق بمثابة إطار متكامل لتداول المعاني .

فتطرق المحدثين في معاني القدماء، بالإضافة إليها والحذف منها أو إعادة تشكليها، تعد مسوغا للإبداع الشعري عند المحدثين في رأي **القاضي الجرجاني**، الذي يرى كذلك أن الشاعر المحدث إذا راعى هذه الخطوات التي ذكرها في تعامله مع المعاني وصياغته صياغة جديدة قد يبرز على القدماء، ويبرز على السابقين عليه .

كما تحدث **القاضي الجرجاني** على نوعين من السرقة وهي المحمودة والمذمومة، وهذين النوعيين تجدها في كتاب القراضة حيث يقرر **القاضي الجرجاني** أن أخذ المعاني المتداولة مع إضافة ما يحسنها يعد سرقة ممدوحة، ويقول أنه "متى جاءت السرقة هذا المجيء، لم تعد من المعايب، ولم تحض في جملة المثالب وكان صاحبها بالتفضيل أحق، وبالمدح والتركيبة أولى "[2]

ومن الموضوعات التي تأثر بها **ابن رشيق** في كتابه القراضة مواضع حسن الأخذ وقبحه وجودته وراءاته وذلك من خلال كتاب **الصناعتين لأبي هلال العسكري**[3] .

حيث يقول في هذا السياق:" ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم، والصب على قوالب من سبقهم "[4]

---

[1] القاضي الجرجاني، الوساطة، ص 186.

[2] المصدر نفسه، ص188.

[3] الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران العسكري، اللغوي الأديب، الشاعر، صاحب المصنفات الأدبية، توفي سنة 395هـ

[4] أبي هلال العسكري، الصناعتين، تح علي محمد البجاوي، ومحمد الفضل ابراهيم ، **المكتبة العصرية**، بيروت ، صيدا ، د ط ،1406هـ،1986،ص298 .

فابن هلال العسكري * يبين أن المعاني مشتركة في العلم بها يبين الناس، ولكن تقع المزية والتمايز بينهما في الصياغة الفنية.

و لقد اتفق تقريبا جل النقاد القدماء، على أن السرقة لا تتحقق إلا في المعاني العامة التي هي حق مشترك بين الجميع، ولا في المعاني المستبذلة المتداولة بين الشعراء، ولا حتى في المعاني الخاصة التي ستصبح عامة لكثرة شيوعها، ولا في الألفاظ لأنها مباحة للجميع، إنما تكون السرقة في المعنى الخاص المخترع الذي انفرد به صاحبه، وعنه أخذ الآخرون .

فالمعاني العامة مشتركة يتداولها جميع الشعراء كتشبيه المرأة الحسناء بالشمس والقمر، وأسنانها باللؤلؤ ...الخ

وهذا ما نلاحظه عند **ابن رشيق** عندما تحدث عن السرقة إذ يقول في هذا السياق : وقد ألف العلماء والنقاد في سرقات الشعراء كتباعده، وصنفوا تصانيف كثيرة اختلفت فيها آرائهم وتباعدت طرائقهم، غير أن أهل التحصيل مجمعون من ذلك أن على السرقة إنما تقع في البديع النادر والخارج عن العادة فنلاحظ أن **ابن رشيق** تأثر بالنقاد القدامى فنلاحظ أنه حذا حذوهم واتفق معهم في أن السرقة تقع في البديع النادر والخارج عن العادة[2].

لقد جعل **ابن رشيق القيرواني**، السرقات الشعرية بابا واسعا في مؤلفه **قراضة الذهب**، بحيث جمع فيه شواهد وأمثلة فمن الملاحظ أن الشعراء هم الذين فتحوا هذا الباب للنقاد، فتابعهم النقاد فيه، وجمعوا مادته من الشعراء أنفسهم .

ولعل من أهم المرجعيات التي اعتمد عليها **ابن رشيق** في تحديد أنواع السرقات، كتاب **(الشعر والشعراء) لابن قتيبة** *بحيث استعمل مصطلح الأخذ بدلا من السرقة[3].

---

*–الحسن بن عبد الله بن سهل بن يحي بن مهدان العسكري اللغوي، الأديب الشاعر، صاحب المصنفات الأدبية وكنيته أبو هلال، ولد عام 920 م توفي عام 1005م

*–أبو محمد بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ولد سنة 828 م الموافق ل213 هـ، أديب وفقيه ومؤرخ عربي، ولد في بغداد وسكن في الكوفة، توفي سنة 889م الموافق ل276هـ .

[3] ينظر ابن قتيبة، الشعرو الشعراء، ص7/1.

(كتاب عيار الشعر) لابن طباطبا* ،: وفيه يميز بين نوعين من السرقات (الإعارة) و(الاستعارة) ،فالأولى سرقة فاضحة وهي التي تقع في المعاني لا في الألفاظ والأوزان، والثانية هي حسن الأخذ وهي إبراز المعنى القديم في لباس جديد.

فهذين النوعيين تحدث عنهما **ابن رشيق في القراضة** ،أما كتاب **نقد الشعر لقدامة بن جعفر** فقد تأثر به في التشبيه .

ثم جاء **أبو الفرج الأصفهاني (ت 356 هـ)** فعرض لقضية السرقات وأنواعها وذلك في كتابه الموسوعي **الأغاني**، حيث كان يرى أن السرقة تكون في المعاني النادرة المبتكرة أو في التشبيهات البديعة، أما في المعاني المشتركة ،و الألفاظ المشتركة والتشبيهات المعروفة، فليس هناك سرقة، مما نلاحظ على **أبو الفرج** أنه قلما يستعمل مصطلح **(السرقة)**، مفضلا عليها استعمال مصطلح **(الأخذ)** .

و لقد وظف تسعة أنواع للسرقة أو الأخذ:

الانتحال، الإعارة، النقل، التضمين، السلخ، الأخذ، الاستعارة، السرقة الخفية، المصالتة .

فما نلاحظه على هذه الأنواع أنها تتداخل وتتشابك بين النقاد أنفسهم، فمثلا السرقة الخفية مثلا عند أبي الفرج وعند الحاتمي وابن رشيق، يسمى المجدود .

والسلخ عند أبي الفرج هو النظر والملاحظة عند الحاتمي وابن رشيق التضمين عنده هو ما يسميه الحاتمي وابن شيق بالاستجلاب والاستلحاق .

أما **القاضي الجرجاني** فقد تأثر به من خلال مقولته التي تأكد كثرة فروع هذا النوع من القضايا، إذ يقول في هذا السياق " هذا باب لا ينهض بها الا الناقد البصير ،والعالم المبرز ،و ليس كل من تعرض له أدركه ،و لا كل من أدركه استوفاه واستكمله ولست تعد من جهابذة الكلام، ونقاد الشعر، حتى تميز بين أصنافه وأقسامه، وتحيط علما برتبه ومنازله،

*أبو الحسن ابن طباطبا بن أحمد بن محمد الهاشمي القريشي، عالم وشاعر وأديب، ولد في أصفهان وتوفي فيها، سنة 934 م الموافق ل322 هـ، من أشهر كتبه : عيار الشعر، ونقد الشعر ينظر ويكيديا لاطلاع أكثر

فتفصل بين السرقة والغصب وبين الإعارة والاختلاس، وتعرف الإلمام من الملاحظة، وتفرق بين المشترك الذي لا يجوز ادعاء السرقة فيه، والمبتذل الذي ليس أحد أولى به، وليس المختص الذي حازه المبتدئ فملكه، وأحياه السابق فاقتطعه، فصار المعتدي مختلسا سارقا ،و المشارك له مجتذبا تابعا ،و تعرف اللفظ الذي يجوز أن يقال فيه: أخذ ونقل والكلمة التي يصح أن يقال فيها : هي لفلان دون لفلان " [1]

لذلك فالأنواع التي لا تعد سرقة عنده هي كالتالي:

1/ التوارد

2/ المعاني المشتركة بين الناس .

3/ الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والأمثال وأقوال الحكماء والفلاسفة فكلها لا تدخل في باب السرقة

4/ إذا أني متقدم بمعنى مبتذل ثم جاء متأخر فأخذ معناه ولفظه فانه لا يعد سرقة [2]

و لأن **الجرجاني قاضي** *، فهو قد ابتعد عن استعمال المصطلحات الحادة في موضوع السرقات، فقد اكتفى بمصطلحات مثل **النقل، القلب، النقص، الإلمام، الملاحظة، الاحتذاء، التناسب** .[4]

1/ فالنقل عنده يتم بأخذ المعنى من فن واستعماله في فن آخر .

2/ القلب: هو أن يأخذ الشاعر معنى لمن سبقه، فيجيء بنقيضه

[1] القاضي الجرجاني، الوساطة، ص 183.

[2] المصدر نفسه ، ص 192.

-*أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (400- 471 هـ-1009 م-1078 م) نحو ومتكلم، ولد في جرجان لأسرة رقيقة الحال، نشأ ولوعا بالعلم، محبا للثقافة هو فارسي الأصل ومن أشهر كتبه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة.

[4] المصدر نفسه ، ص 239.

3/ الإلمام والملاحظة عندما يكتشف الشاعر لفظته عن طريق الاستعارة ثم يأتي شاعر آخر، فيستعمل تلك الاستعارة أو ما يقاربها، فيكون قد ألم بألفاظ الأول.

4/ الاحتذاء: هو أن يوازي شاعر شاعرا سبقه في صورة أو معنى

5/ التناسب : هو اختلاف الألفاظ والظواهر، واتفاق الأغراض والمقاصد ولعل من أهم المرجعيات التي ارتكز عليها **ابن رشيق** هي كتاب **(حيلة المحاضرة) للحاتمي** فقد خص السرقات وأتى على أصولها وفروعها، وحدد عددا كبيرا من مصطلحاتها وطبقها عمليا على شعر **المتنبي** ولقد ذكر نحو عشرين نوعا من السرقة وهي كالتالي : الانتحال، الاختزال، الاقتضاب، الاستعارة، الإحسان، الإساءة، النظر، الإشارة، النقل، العكس، التركيب .....الخ [1]

ولقد علق على هذه الأنواع بقوله " وفرقت بين أصناف ذلك فروقا لم أسبق إليها، ولا علمت أن أحدا من علماء الشعر سبقني إلى جمعها."[2]

كما نلاحظ أن **ابن رشيق** في كتابه القراضة تأثر بألوان البديع التي درسها **أبو هلال العسكري** من خلال مؤلفه الصناعتين، فنلاحظ أنها هي نفسها التي ذكرها **ابن رشيق** نذكر منها على سبيل المثالالمبالغة، المطابقة، الإيغال، التخسيس، الاستعارة، التشبيه، الاستعارة، الالتفات ... الخ .

-ومن مصادر النقد الأدبي التي تأثر بها أيضا كتابه **العمدة.**

فنلاحظ أن **ابن رشيق** في مصنفة **القراضة** قد اعتمد على آراء من سبقه، فنلاحظ أنه سلك مسلكهم، غير أنه اختلف معهم في إيراد الشواهد فقط، كما يتفق مع بعضهم، ومما نلاحظه أيضا إن **ابن رشيق القيرواني** قد عالج قضية السرقات الشعرية في مصدرين هما : **العمدة**

[1] الحاتمي، حيلة المحاضرة ، 2/ ص 29.

[2] المصدر نفسه ، 2/ ص 67.

وقراضة الذهب فالأول يتميز بكونه عاما في الأدب والنقد، أما الثاني فهو خاص في مجال من مجالات الممارسة النقدية .كما انتقل من التنظير إلى التطبيق

ومن المعلوم أن منهج **ابن رشيق** في التأليف يعتمد على مبدأ الجمع والتصرف والانتقاء لأحسن ما قاله العلماء والنقاد فيما يخص النقد، مع الحرص على الضبط والتحقيق والتقويم .

أما فيما يخص قضية اللفظ والمعنى، فنلاحظ أنه من خلال تقسيمه للفظ أنه تأثر بالنقاد الذين سبقوا بحيث أنه قسم اللفظ الى هجين اللفظ وحسن اللفظ، ونلاحظ أن هذا التقسيم قديم فقد نشأ مع الجاحظ وذلك حين أعطى مقياسا مثاليا للفظ المثالي ويتضح ذلك من خلال مقولته : "..... **كما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا ساقطا، وكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا ،إلا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا، فأن الوحشي من الكلام يفهمه من الناس من كان يفهم، السوقي رطانه السوقي وكلام الناس في طبقات، كما أن الناس في طبقات، فمن الكلام ..... الجزل والسخيف والمليح والحسن والقبيح والسمج والخفيف، والثقيل، وكله عربي .....**" [1]

كما تأثر أيضا **بابن قتيبة** وذلك حين قسم الشعر الى أربعة ضروب، ومن بينها ضرب :

" **حسن لفظه وجاد معناه ..**" ومن بين النقاد الذين تأثر بهم فيما يخص اللفظ **أبو هلال العسكري** وذلك من خلال كتابه **الصناعتين** اذ يقول في هذا السياق :"**و لا ينبغي أن يكون لفظك وحشيا بدويا، وكذلك لا يصلح أن يكون مبتذلا سوقيا** "[2]

أما فيما يخص المعنى، فنلاحظ أنه تأثر **بابن هلال العسكري**، وذلك حين تحدث عن نقل المعنى، وهو نفسه الذي تحدث عنه **ابن رشيق** في مصنفه **القراضة** غير أنهم اختلفوا في الشواهد الشعرية فقط . أما

[1] الجاحظ، البيان والتبين، 199/1.

[2] ابن قتيبة ،الشعر والشعراء، ج1 ص15.

فيما يخص الطبعة والصنعة فمن الطبيعي أنه تأثر أولا **ببشر بن المعتمر** الذي يعد من السابقين إلى الدعوة إلى صناعة الشعر بالإضافة إلى الطبع والموهبة فهو يقول:

" **فإن ابتليت بأن تتكلف القول تتعاطى الصنعة ولم تسمح لك الطباع في أول وهلة، فلا تعجل ولا تضجر وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك فانك لا تعدم الإجابة والمواتاة إن كانت هناك طبيعة أو جريت من الصناعة على عرق** "[1]

ومن أبرز إشارات النقاد القدامى لهذا الجانب إشارة **القاضي الجرجاني** التي تأثر بها **ابن رشيق** من خلال مصنفه، إذ يقول "**إن الشعر علم من علوم العرب، يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء وتكون الدربة مادة له وقوة لكل واحد من أسبابه، فمن اجتمعت لديه هذه الخصال فهو المحسن المبرز، وبقدر نصيبه منها، تكون مرتبته من الإحسان.....**"[2]

كما تأثر أيضا بتقسيم **ابن قتيبة** للشعر إلى مطبوع ومتكلف إلى مطبوع ومصنوع : " والمطبوع من الشعر من سمح بالشعر، واقتدر على القوافي وأراك في صدر بيته عجزه، وفي فاتحته قافيته، وتبينت على شعره، رونق الطبع ووشي الغريزة " .[3]

كما تأثر أيضا **بالآمدي** الذي يرى أن الشعراء المتكلفين هم الذين لا يجرون مع تيار الطبع، ولا يسترسلون مع استعدادهم الأدبي كـ **(أبي تمام)** [4]. وقد تأثر **ابن رشيق بالآمدي** غير أنه اختلف معه في ذكر الشواهد الشعرية فقط

فقد كانت هذه تقريبا أهم المرجعيات التي اعتمد عليها **ابن رشيق** في مصنفه **القراضة**، حيث نلاحظ أنه تأثر بمجموعة من النقاد، غير أنه لم يذكر هذه المصنفات في كتابه **القراضة** .

[1] الجاحظ ،البيان والتبين، ج138/1.

[2] الجرجاني، الوساطة، ص15.

[3] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص 15.

[4] ينظر الموازنة، **للأمدي** للاطلاع أكثر .

فابن رشيق أثناء دراسته لهذه القضايا، كان مستوعبا لجميع الأفكار التي سبقته، فقد كان يعتمد على النقل والرواية وأحيانا أخرى كان يعتمد على الحاسة والذوق فهو يجتهد في إيراد رأيه معتمدا على ذوقه الفني وحسه المرهف.

وما نلاحظه أيضا أن **ابن رشيق** من خلال كتابه القراصنة قد عالج موضوعا عاما وشاملا وهو قضية السرقات بحيث أعطه حقه من الدراسة، والبحث فيه وفق منهج علمي دقيق وشامل ولقد اعتمد فيه على آراء من سبقه من العلماء والنقاد والبلاغيين .

أما فيما يخص باقي القضايا، فلم يدرسها بنفس الاتساع التي خصصها في دراسته لقضية السرقات.

كما نلاحظ إن من طبيعة الأبحاث العلمية الرصينة، إن يفيد الباحث في الموضوع المشترك ممن سبقه، بحيث يستشهد بأقوال وآراء لمن سبقه في هذا الموضوع ولأن طبيعة البحث موضوعا ومنهجا، تفرض عليه مثل ذلك فلا غرابة إذن أن يشتمل بحث **ابن رشيق** على آراء السابقين، غير أنه لم يلمح لآراء من سبقه وهذا ما يعاب عليه .

الفصل الثاني

الاراء النقدية في كتاب قراضة الذهب في نقد اشعار العرب

السرقات الشعرية

اللفظ و المعنى

الطبع و الصنعة

الابداع و الاختراع

الآراء النقدية في كتابة قراضة الذهب :

أولا : السرقات الشعرية

تعد قضية السرقات الشعرية من أهم القضايا النقدية القديمة في أدبنا العربي، وقد عنى بها العرب قديما وحديثا، وأفردوا لها مؤلفات كثيرة، حتى لا يكاد يخلو من ذكرها أي كتاب نقدي قديم وهي مسألة طبيعية وقديمة في تاريخ الأدب العربي وفي الشعر منه بوجه خاص، بحيث وجدت بين شعراء الجاهلية وتفطن إليها الشعراء والنقاد جميعا لما لاحظوا مظاهرها بين **امرئ القيس** * **وطرفة بن العبد** **وبين **الأعشى** ***والنابغة الذبياني**، وبين **أوس بن حجر وزهير بن أبي سلمى**.

و لقد كان **حسان بن ثابت** يعتبر بكلامه وينفي معانيه عن الأخذ والإغارة يقول :

لا أسرق الشعراء ما نطقوا بل لا يوافق شعرهم شعري.

و لعل أول من تفطن إلى هذا النوع من القضايا هو **ابن سلام الجمحي** من خلال كتابه طبقات فحول الشعراء.

فالسرقات الشعرية قديمة قدم الشعر، فهي موجودة منذ العصر الجاهلي إلا أنها لم تكن تثير الإشكالية التي نجدها، بارزة وواضحة في العصور التي تلي ذلك العصر، فبابها واسع جدا، ويؤكد **ابن رشيق** أنه لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعى السلامة منه.

ولقد تطرق العديد من النقاد لموضوع السرقات منهم **ابن سلام الجمحي**[4] إذ تناول في معرض حديثه عن وجود سرقات في العصر الجاهلي، كما فطن **ابن سلام** إلى فكرة

---

* امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، كان شاعرا عربيا جاهليا عالي الطبقة من قبيلة كنده يعد من أعظم شعراء العصر الجاهلي، يعرف باسم الملك الخليل وذي القروح.

** هو شاعر جاهلي من شعراء المعلقات، وقيل اسمه طرفة بن العبد بن سفيان بن أسعد أبو عمرو لقب بطرفة، وهو من بني قيس بن ثعلبة من بني بكر بن وائل، ولد حوالي سنة 543 من أبوين شريفين توفي سنة 569.

*** هو ميمون بن قيس بن حنبل بن شراحيل بن عرف بن سعد بن ضيعة بن قيس بن ثعلبة من بكر بن وائل بن قاسط بن هند بن أقصى بن دعمي بن حبيلة بن أسعد بن ربيعة بن نزار لقب بالأعشى لأنه كان ضعيف البصر، وهو من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية.

[4] محمد بن سلام بن عبد الله بن سالم الجمحي أبو عبد الله البصري مولى قدامة بن مصعون كان من أهل الفضل والأدب، صنف كتاب طبقات فحول الشعراء.

الاقتباس والتضمين فهو يروي عن خلف أنه سمع أهل البادية من بني سعد يرون بيت **النابغة للزبرقان بن بدر** :

تعدو والذئاب على من لا كلاب له وتتقي مريض المستنفر الحامي

فسأل **ابن سلام يونس** عن البيتين فقال : "هو **للنابغة** أظن **الزبرقان** استزاده في شعره كالمثل حين جاء موضعه، لا مجتلبا له، وقد تفعل ذلك العرب ولا يريدون به السرقة "[1].

ولقد فطن **ابن سلام** أيضا إلى أن اختلاف الرواية يؤدي أحيانا إلى فكرة السرقات كما نبه **ابن سلام** إلى فكرة المعنى المتداول حتى صار كالمشترك فهو يقول إن **امرئ القيس** سبق العرب إلى أشياء ابتدعها استحسنها العرب واتبعه فيها الشعراء، منه استيقاف محبه، والبكاء على الديار، ورقة النسيب وقرب المأخذ، وشبه النساء بالظباء والبيض. ..[2]

يعد **المبرد** أول من تطرق إلى هذه القضية بالدراسة التطبيقية وذلك في كتابه **الكامل في اللغة والأدب**، حيث أخذ بعض النصوص الشعرية وحاول أن يجد أصل موردها، ومن ذلك تحليله لنص **إسماعيل ابن القاسم** :

يا عجبا للناس لو فكروا وحاسبوا أنفسهم أبصروا

وعبروا لدنيا إلى غيرها فإنما الدنيا لهم معبد

الخير مما ليس يخفى هوالـ معروف والشر هو المنكر [3]

وما نلاحظه أن **المبرد** حلل كل بيت على حدا، بحيث أرجع البيت الأول إلى مقولة مشهورة لدى العرب :الفكرة مرآة تريك حسنك وقبحك، ومن قول لقمان لابنه. ... يا بني العاقل أن يخلى نفسه من أربعة أوقات فوقت فيها يناجي ربه، ووقت يكسب فيه لمعاشه، ووقت يخلى نفسه يخلى فيه بين نفسه وبين لذتها ليستعين بذلك على سائر الأوقات "[4]

و قوله :

---

[1] ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تح محمد شاكر،جامعة الامام محمد بن سعود الرياض، د ط، دت، ص17.

[2] المصدر نفسه، ص16.

[3] المبرد، الكامل في اللغة والأدب، مكتبة المصطفى، د ط،، د ت، ص 216.

[4] المصدر نفسه ، ص21.

وعبروا لدنيا إلى غيرها فإنما الدنيا لهم معبد

فالمبرد يرى أنها مأخوذة من قول الحسن : " اجعل الدنيا كالقنطرة تجوز عليها ولا تعمرها "[1] وهكذا إلى آخر بيت في القصيدة إلى جانب **المبرد** نجد ناقد آخر قد تعرض للقضية بالدراسة يمثل هذا الناقد في **ابن المعتز** [2] وقد تعرض لهذه القضية في كتابه " **طبقات الشعراء** " حيث يرى أنه على الشاعر الذي يريد أن يأخذ، أن يضيف إلى ما أخذه إضافة تكسبه نوعا من الخصوصية التي تمنح الشاعر بعد ذلك حق نسبته إليه وفي هذا الإطار يقول : " **ولا يعذر الشاعر في سرقته حتى يزيد في إضاءة المعنى أو يأتي بأجزل من الكلام الأول أو ينسخ له بذلك معنى يفصح له ما تقدمه، ولا يفتضح به، وينظر إلى ما قصده نظر مستغن عنه لا فقير إليه** " [3]

فابن المعتز في نظره الشاعر لا يكتفي بالأخذ فقط بل عليه أن يطور ما أخذه ليكون أخذه إيجابيا.

أما ابن **طباطبا** فقد وضع توجيهات تساعد الشاعر في ممارسته للصناعة القولية في ميدان الأخذ ولقد وضع هذه التوجيهات في كتابه "**عيار الشعر**"، كما التمس العذر للمحدثين إذ يقول في هذا السياق "**والمحنة على شعراء زماننا في أشعارهم أشد عنها على من كان قبلهم لأنهم قد سبقوا إلى كل معنى بديع، ولفظ فصيح، وحيلة لطيفة، وخلابة ساحرة** "[4]

فالأخذ عند **ابن طباطبا** يكون محنة حيث أن الشعراء القدامى قد أحاطوا بجل المعاني ونسجوها، ولم يبق للشعراء الآن سوى محاولة تجاوز هذه المعاني إلا بالإضافة إليها، وإلا كانت مجرد أعمالهم وأشعارهم مجرد تقليد.

ووسيلة **ابن طباطبا** تنحصر في :

1/ إلطاف الحيلة في الأخذ.

---

[1] المصدر السابق ، ص 217.

[2] عبد الله بن المعتز بالله خليفة عباسي وكنينه أبو العباس، ولد عام (247هـ، 861 م) في بغداد، وكان أديبا وشاعرا، ولقب بالمرتضى بالله، قتل عام (296 هـ . 909 م).

[3] ابن المعتز، الطبقات، مكتبة المصطفى، ص 27.

[4] ابن طباطبا، عيار الشعر، تح عباس عبد الستار، مراجعة نعيم زوزو، ، دار الكتب العلمية، لبنان بيروت ،ط 1 ، 1982ص15.

2/ تدقيق النظر في تناول المعاني واستعارتها.

3/ تلبيسها حتى تخفى على نقادها والبصراء بها.

4/استعمال المعاني في غير الجنس الذي تناوله منه الشاعر.

5/ تناول المعنى اللطيف في المنثور وجعله شعرا.

أما **الآمدي** [1] فقد عالج ظاهرة السرقات من جهة الإفادة، إذا اعتبر أن الظاهرة مشروعة شريطة أن تكون من جهة المعاني إذ يقول في هذا السياق:" **والسرقة إنما هي في البديع المخترع الذي يختص بالشاعر، لا في المعاني المشتركة بين الناس التي هي جارية في عاداتهم، ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم مما ترفع الظنة فيه عن الذي يريده أن يقال إنه أخذ من غيره** "[2]

لقد عنى **أبي هلال العسكري** بدراسات السرقات في كتابه عناية كبيرة وقد جعل هذه الدراسة في فصلين : الأول في حسن الأخذ والثاني في قبح الأخذ ويمكننا حصر منهج **العسكري** في دراسته للسرقات فيما يأتي :

- جعل **العسكري** المعاني على ضربين : الأول يبتدعه صاحب الصناعة من غير أن يكون له إمام يقتدي به فيه، والآخر يحتذيه على مثال تقدم، يقر **العسكري** أن الناس لا غنى لهم عن تناول معاني المتقدمين كما يقرر أن المعاني مشتركة بين العقلاء "[3]

يؤمن **العسكري** بالأخذ الحسن، ويضع له قواعد وهي كالتالي :

1/ أن يكسر المتأخر معنى المتقدم ألفاظا من عنده .

2/ أن يصوغه صياغة جديدة، ويورده في غير حيلته الأولى.

3/ أن يزيد في حسن تأليفه وجودة تركيبه وكمال حيلته.

4/ أن يأخذ معنى من النثر فينظمه.

---

[1] سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (551هـ . 631 هـ/ 1156 – 1233 م) فقيه، مصنف ومتكلم.

[2] الآمدي ،الموازنة، ، ص 326.

[3] ينظر: ابن رشيق، العمدة، ج2، ص282.

5/ أن ينقل المعنى من غرض لآخر. [1]

أما **الحاتمي** فقد أتى في مصنفه حيلة المحاضرة بألقاب محدثة تدبرها **ابن رشيق**، وهذه الألقاب ليس لها محصول إذا تحققت **كالاصطراف** و**الاجتلاب**، **والانتحال**، **و الاهتدام**، **والإغارة والمرافدة**، **والاستلحاق** [2]."

وقد علق عليه **الجرجاني** بقوله "**هو أصبح مذهبا وأكثر تحققا** "[3]

يوافق **ابن رشيق** سابقيه فيما ذهبوا إليه في باب السرقة إذ يقول في هذا السياق "**من أخذ معنى اللفظة كما هو كان سارقا، فإن غيَّر بعض اللفظ كان سالخا فإن غيَّر بعض المعنى ليخيفه أو قلبه عن وجهه، كان ذلك دليل حذفه** "[4]

و ما نلاحظه على هذا القول هو أن **ابن رشيق** ليس ضد الأخذ والسرقة، لكن يجب على الشاعر أن يكون حاذق أثناء القيام بهذه العملية.

كما أن **ابن رشيق** قد سار على منهج **الحاتمي** كذلك في تعيد أنواع السرقات إذ يرى أن السرقة على درجات متفاوتة إذ يقول "**الاصطراف** أن يعجب الشاعر بيت من الشعر فيصرفه إليه على جهة المثل فهو **اجتلاب واستلحاق** وإن ادعاه جملة فهو **إنتحال**، ولا يقال منتحل إلا لمن إدعى شعرا لغيره وهو يقول الشعر، أما إن كان لا يقول الشعر فهو مدع غير منتحل، وإن كان الشعر لشاعر أخذ منه غلبة فتلك **الإغارة والغصب**، وبينهما فرق أذكره في موضعه إن شاء الله تعالى، فإن أخذه هبة فتلك **المرافدة** ويقال **الاسترفاد**، فإن كانت السرقة فيها دون البيت فذلك **النظر والملاحظة**، وكذلك إن تضادًا ودل أحدهما على الآخر، ومنهم من يجعل هذا هو **الإلمام**، فإن حوَّل المعنى من نسيب إلى مديح فذلك **الإختلاس** ويسمى أيضا **نقل المعنى** فإن أخذ بنية الكلام فقط فتلك **الموازنة**، فان جعل مكان له لفظته منها فذلك هو العكس، فإن صح أن الشاعر لم يسمع بقول الآخر وكانا في عصر واحد فتلك

[1] المصدر السابق ، ص196.

[2] ينظر: ابن رشيق، العمدة، ج2، ص 282.

[3] المصدر نفسة ، ص282.

[4] ابن رشيق "العمدة "، ج 2، ص 282.

المواردة، وإن ألف البيت من أبيات قد ركب بعضها من بعض فذلك هو **الإلتقاط والتلفيق**، وبعضهم يسميه **الإجتذاب والتركيب** ومن هذا الباب **كشف المعنى، والمحدود من الشعر، سوء الإتباع، وتقصير الأخذ عن المأخوذ منه** "[1]

1 **فالاصطراف** عند **ابن رشيق** هو أن يعجب الشاعر بيت من الشعر فيأخذه لنفسه، وفي نظر **ابن رشيق** ينقسم إلى جزئين :

- **أخذ جزئي** ويسمى **الاجتذاب**.
- و**أخذ كلي** يسمى **انتحال**.
- أما **الاغارة والغضب** هو أخذ الشعرة عنوة.
- **المرافدة** : ويطلق عليها أيضا **الإسترفاد** : وهو أخذ الشعر هبة.
- **الاهتدام** : يطلق عليه أيضا **النسخ**، وهي السرقة فيما دون البيت.
- **النظر والملاحظة** : إذا خفي الأخذ وتساوى المعنيان دون اللفظ.
- **الاختلاس** : هو تحويل المعنى من غرض النسيب إلى المديح. كما يسمى بنقل المعنى.
- **الموازنة** : الاكتفاء بأخذ بنيبة الكلام.
- **العكس**: أخذ الكلام ووضع مكان كل كلمة ضدها.
- **الموارد**ة: الإلتقاء قول شاعرين دون أن يحتكا أو يعرف الواحد منها بقول الآخر، ويشترط أن يكون في عصر واحد.
- **الالتقاط والتلفيق**، يسمى أيضا **الإجتذاب** أو **التركيب** وهو الأخذ من عدة أبيات وتأليف بيت.

و الغرض من هذه الدراسة التي عالجها **ابن رشيق** عن السرقات هو تقديم سند معرفي يتكأ عليه المتعلم في قرض الشعر إذ يقول في هذا السياق " **سأورد عليك مما رويته أو تأدى إلى فهمه لكل واحد من هذه الألقاب مثالا يعرفه العالم، ويقتدي به المتعلم إن شاء الله تعالى**"[2]

[1] المصدرالسابق ، ص283.

[2] المصدر السابق، ص 283.

يتضح من كل هذا أن كل ناقد أدلى برأيه في هذه القضية ولكن الذي يهمنا هو كيف عالج **ابن رشيق** قضية السرقات الشعرية من خلال مصنفه **قراضة الذهب** ؟ وما هي الأنواع التي ذكرها في مصنفه **قراضة الذهب** ؟ وهل هي نفسها الأنواع التي ذكرها في مصنفه **العمدة** ؟

لقد عالج **ابن رشيق** هذه القضية في ضوء آراء النقاد ممن سبقه وممن عاصره، فعمم الفكرة واستوعب الحديث عنها محملا واردا وآخذا.

كما أن **ابن رشيق** بعد دراسته لهذه القضية حاول أن يوضح قدر الإمكان أهم الآراء والملاحظات التي قيلت في هذا النوع من القضايا النقدية وقد عرض **ابن رشيق** من خلال مصنفه لأنواع السرقات المختلفة، كما حدد فيها مواضع الأخذ الحسن، والأخذ القبيح، مستشهدا في ذلك بأقوال للشعراء.

" **وقد ألف النقاد والعلماء في سرقات الشعراء كتباعده، وصنفوا تصانيف كثيرة اختلفت فيها آرائهم وتباعدت طرائقهم، غير أن أهل التحصل مجمعون من ذلك على أن السرقة إنما تقع في البديع النادر والخارج عن العادة** "[1]

لقد ألف **ابن رشيق** مصنفة هذا ليحدد لنا ما المقصود بالسرقة في الشعر، ولقد وضع لها أنواع وحددها إذ يقول في هذا السياق:" **والسرقة إنما تقع في البديع النادر، والخارج عن العادة وذلك في العبارة التي هي الألفاظ** "

فمن خلال قوله هذا يتضح لنا أن السرقات في الشعر تقع في البديع النادر ولقد حصر هذه الأنواع في البديع.

ومن بين هذه الأنواع التي حصارها في البديع :

- **المطابقة والتجنيس** : إذ يقول في هذا السياق " **والمطابقة والتجنيس أفضح سرقة من غيرها، لأن التشبيه وما شاكله يتبع فيه القول والمجانسة والتطبيق يضيق فيهما تناول اللفظ** "

و لقد أعطى لنا مثال في هذين النوعين من السرقة :

[1] ابن رشيق، قراضة الذهب، ص20.

قال **امرئ القيس** :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العتاب والحشف البالي

فأخذه منه **طرفة** : فقال في صفة عقاب **[طويل]** :

وعجراء دقق بالجناح كأنها مع الصبح شيخ في بجاد مقنع

و تابعه **النابغة** : فقال في صفة النسور **[طويل]:**

تراهن خلف القوم حزرا عيونها جلوس الشيوخ في مسوك الأرانب

وقد علق **ابن رشيق** بقوله "**ألا ترى أن طرفة أخذ قول امرئ القيس في صفة الجبل فجعله في صفة عقاب، وجعله النابغة في صفة النسور** "

فابن رشيق يرى أن **امرئ القيس** هو إمام الشعراء في السبق إلى هذه المعاني البديعية ولقد اتبعه بقية الشعراء بعد ذلك، وقد علل لنا الأسباب التي جعلته يقدم لنا **امرئ القيس** على سائر الشعراء إذ يقول :" و**أنا اقتصر من جميع الشعراء في أكثر ما أورده على امرئ القيس لأنه المقدم لا محالة وإن وقع ذلك بعض الخلاف، فالمميز الحاذق بطرق البلاغة يجد لكلامه من الفضيلة** " [1]

و من باب **المجانسة** قول **امرئ القيس** :

[طويل]

على ظهر عادي يحاربه القطا إذا ساقه العود النباطى جر جزا

و قوله :

[طويل]

لقد طمح الطماح من بعد أرضه ليلبسني من دائه ما تلبسنا.

وقوله :

[طويل]:

[1] المصدر السابق،ص30.

فما قاتلوا عن ربهم وربيبهم ولا أذنوا جارا فيظعن سالما [1]

ولقد علق على الأبيات بقوله " **لقد طمح الطماح** " **أو قوله "ليسلبني ما تلبسا " لكان سارقا بل مكابرا مصالتا** [2]

▪ وما نلاحظه على هذين المصطلحين أنهما مصطلحان استعملها **ابن المعتز** في حقل البلاغة، لكن **ابن رشيق** أثار هذه القضية، وجعلها قضية نقدية شائكة، كما أنه استطاع أن يمزج بين البلاغة والنقد بروح تعكس تمازج الفنين بكيفية فريدة، حيث نقل المصطلحين من البلاغة إلى النقد وأدخلها في قضية السرقات الشعرية وهذا عائد إلى ثقافته الموسوعية.

ومن أنواع السرقات التي تطرق إليها :

✓ **السرقة في الاستعارة** : ولقد أعطى لهذا النوع مثال :

قال **امرئ القيس** :

[طويل]

لمجرد قيد الأوابد هيكل

و لقد علق هذا البيت بقوله :" **فإنه أول من قيده وسبق إلى الإستعارة البديعية فاتبعه الناس** " فقال بعضهم : **[كامل]**

قيد الأوابد في الرهان

فابن رشيق يرى أن صاحب هذا البيت زاد زيادة كانت بالنقص أشبه لأن الرهان لا يقيد وإن استعير لها لذلك فيعيد واستغرق قول **ابن المعتز [رجز].**

كأنَّ ما يفرُّ منه يطلبُّه

قال **ابن رشيق:** " **وان كان غاية لكون القيد ألزم ليد المطلوب وهما فيه أحصل**" [3]

[1] ابن رشيق، قراضة الذهب، ص29.

[2] المصدر نفسه، ص30.

[3] ابن رشيق، قراضة الذهب، ص 21.

فمن خلال هذه الأمثلة **ابن رشيق** يقر لنا بأن **امرئ القيس** هو الأسبق في ابتداع هذه الإستعارات، ولقد اتبعه بعد ذلك بعض الشعراء.

–و ثاني أنواع السرقات في البديع هي **المبالغة** [1]

قال **امرئ القيس** : يصف حلي امرأة: **[طويل]**

كأن على لباتها حمر مصطل أصاب عضا جزلا وكفً بأجزال

قال **ابن رشيق** : أخذه **النابغة** فقال **[وافر]** :

يضيء الحلي في اللبات منها كمثل الجمر يرد في الظلام

و قد علق **ابن رشيق** على هذا البيت فقال : "**فالنابغة أجاد في أخذه المبالغة إلا أنه دون امرئ القيس لما في مبالغته من اللبس** "[2]

–و ثالث أنواع السرقات في البديع **التتميم** :[3]

قال **امرئ القيس** :**[متقارب]**

إذا ركبوا الخيل واستلأموا تحرقت الأرض واليوم قر

وقد علق **ابن رشيق** على هذا البيت بقوله "**و اليوم قر** " **من تميم المعنى ومبالغة في اللفظ شديدة** ".

فقال **ابن رشيق** "**فهذا النوع هو الذي فتق للشعراء هذا الفن وافتتنوا فيه ونوعوه، فجاؤوا بالاحتراس وغير** "

فقال **طرفة: [كامل]**

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمي

---

[1] وهي ضروب كثيرة، والناس فيها مختلفون، منهم من يؤثرها ويقول بتفضيلها ويراها الغاية القصوى في الجودة، ومنهم من يعيبها وينكرها، ويراها عيبا وهجينة في الكلام، والمبالغة كالاستراحة من الشاعر إذا أعياه إيراد المعنى حسن بالغ فيشغل الإسماع بما هو الحال.

[2] ابن رشيق، قراضة الذهب، ص31.

[3] هو أن يحاول الشاعر معنى فلا يدع شيئا يتمم يد حسنه إلا أورده وأتربه : اما مبالغة اما احتياطا واحتراسا من التقصير = ينظر **العمدة**، ص 63.

وقال آخر :**[طويل]**

إذا الله أسقى دمنتين ببقعة من الأرض سقيا رحمة فسقاهما [1]

و قد علق **ابن رشيق** على هذين البيتين **فقال** : "**غير مفسدها تتميم للمعنى واحتراس للديار من الفساد بكثرة المطر، فالتتميم يكون في أضعاف البيت** " [2]

-ورابع أنواع السرقة في البديع هو **الإيغال** [3]:

قال **امرئ القيس: [طويل]**

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرجلنا الجزع الذي لم يثقب

فتناوله **زهير** فقال :

كأن فُتات العهن في كل منزل نزلن به حب القنا لم يُخطَّم.

و لقد علق **ابن رشيق** على هذا النوع بقوله أنه موجود كثيرا في شعر **امرئ القيس** ويطلق عليه أيضا : القافية، والتتبيع [4]

-أما النوع الآخر الذي نحدثه عنه هو : **الإشارة** ولقد أورد فن ذلك بشاهد من قول **امرؤ القيس** يصف ربئة ربئا لهم **[طويل]**

و ظل كمثل الخشف يرفع رأسه وسائره مثل التراب المدقق

و جاء خفيا يسفن الأرض بطنه ترى الترب منه لاصقا كل ملصق

و قد علق على هذين البيتين بقوله : "**لاصقا كل ملصق**" **فقال إنها إشارة وقال عنها أنها نوع يطلق عليه التتبيع.**

و قوله **[طويل]** .

---

[1] هو أن يحاول الشاعر فلا يدع شيئا يتمم يد حسنه إلا أورده وأتربه: إما مبالغة إما احتياطا واحتراسا من التقصير =ينظر العمدة، ص63.

[2] ابن رشيق، قراضة الذهب، ص 33.

[3] هو ضرب من المبالغة إلا أنه في القوافي خاصة لا يعدوها، والحاتمي وأصحابه يسمونه التبليغ، وهو تفعيل من بلوغ الغاية ، ينظر: العمدة ص 71.

[4] ابن رشيق، قراضة الذهب، ص 32.

و يضجي فتيت المسك فوق فراشها تؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل [1]

و قد علق على البيت بقوله :

" **فتيت المسك** " **يدل على أنها متملكة وكذلك قوله** " **تؤوم الضحى** " **وقوله** " **لم تنتطق عن تفضل** " **فقد أتى في هذا البيت بثلاث إشارات كلها تتبيع ترك الصفة وأتى بما يدل عليها، وبعضهم يسمى هذا النوع الإرداف.** [2]

-أما النوع الذي تحدث عنه في السرقة من البديع هو **الإيجاز** [3]

قوله **[طويل]** :

وإن لفت فقد أزمعت قتلى فأجملي

وقدم شرح لهذا البيت بقوله أي أُقتلي جملة ولا تنوعيه وهو عندهم نظير

قوله: **[طويل]**

فلو أنها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط أنفسا [4]

أخذه **عبده بن الطيب** فقال يرثى **قيس ابن عاصم:**

[طويل]:

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدَّما

فقال معلقا في ذلك على البيت : **هذا معنى من جعل هلكه هلك جميع الناس ممن اتبعه وعاش في رفده كقول الآخر: [وافر]**

لعمرك ما الرزية فقد مال ولا شاة تموت ولا بعير

و لكن الرزية فقد قرم يموت لموته خلق كثير

قال أنه أخذه المجنون على التأويل الأول وهو أولاهما **بامرئ القيس** فقال**[وافر]** :

---

[1] ابن رشيق، قراضة الذهب، ص 36-37.

[2] ينظر :ابن رشيق، قراضة الذهب، ص 37.

[3] بناء الشاعر بيتا أو قسيما يزيد على ما قبله، وربما أجاز بيتا أو قسيما بأبيات كثيرة.

[4] ابن رشيق، قراضة الذهب، ص 38.

عجبت لعروة العذرى أضحى أحاديثا لقوم بعد قوم

و عروة مات موتا مستريحا وها أنا ميت في كل يوم [1]

فقال هذا من مليح الإيجاز وعجيبه.

-وآخر نوع في السرقة من البديع هو **الإلتفات**

قال **امرئ القيس : [وافر]**

مجاورة بني شمجي بن جرم هو أنا ما أتيح من الهوان

وتمنحها بنو شمجي بن جرم معريهم حنانك ذا الحنان.

وما لاحظه **ابن رشيق** أن البيتين فيه التفات، ولقد اقتدى به الناس كما فعل **جرير [وافر]**

أتنسى إذ تودعنا سليمى بفرع بشامة سقي البشام[2]

وقد قال **ابن رشيق** بينما هو يذكر الوداع التفت إلى البشام فاستسقى له.

وثاني نوع من الأخذ تطرق إليه ابن رشيق في مصنفه هو **نقل المعنى والصفة :** ولقد أورد له شاهد من الشعر

كقول **عنترة يصف الذباب :**

هزجا يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الأجذم

فلم يحسر عليه أحد غير أن ذا الرمة نقل معنى الصفة إلى الجندب

فقال :

كأن رجليه رجلا مقطف عجل إذا تجاوب من برديه ترنيمٌ

وقد علق **ابن رشيق** على هذين البيتين قائلا :" **المقطف راكب الدابة القطوف، فنقل صفة يدي الذباب الى رجلي الجندب فقال : فأحسن الأخذ وكأنه لم يعرض لعنترة في معناه**"[1]

[1] -ابن رشيق، قراضة الذهب ،ص 37-38.

[2] المصدر نفسه، ص 40

يرى الدكتور **محمد بن سعد الدبل** أنه لا فرق بين نقل المعنى ونقل الصفة، لأن الصفة هي التي هيئةٌ حركة يدي الذباب في بيت عنترة هي نفسها الهيئة والحركة في وصف رجلي الجندب " **ذكر الجراد** ".

– إن هذا النوع ليس بجديد على **ابن رشيق** لأنه تناوله في مصنفه **العمدة** وأطلق عليها اسم **الاختلاس** إذ يقول في هذا السياق " **فإن حول المعنى من نسيب إلى مديح فذلك الاختلاس، ويسمى أيضا، نقل المعنى** " [2]

إذن فما هو الجديد في مصنفه ؟ هل هو إضافة الصفة فقط على هذا النوع.

كما تطرق **ابن رشيق** إلى نوع آخر من النقل وهو :

نقل جميع معنى البيت وبعض ألفاظه

ولقد أعطى لنا في ذلك مثال **لجرير**:

[طويل]

كأن رؤوس القوم فوق رماحنا غداة الوغى تيجان كسرى وقيصرا

وأتى ***عبد الكريم*** فقال :

[متقاربا]

يتوج أرماحه بالرؤوس ويخضب أطيافه بالدم

فبدل الكسوة بالخضاب وتناول البيت بأسره إلا أنه قد أجاد لفظا وموازنة. [3]

فهذا النوع ليس بجديد **على ابن رشيق،** لأنه سبق التعرف على هذا النوع في كتابه **العمدة** ولقد أطلق عليه اسم **الموازنة** وما نلاحظه هو أن **ابن رشيق** يعيد إلينا نفس الأنواع التي سبق وذكرها في مصنفه **العمدة.**

ومن الأنواع التي عالجها **ابن رشيق** في مصنفه :

---

[1] ابن رشيق، قراضة الذهب، ص 69

[2] ابن رشيق، العمدة، ج2، ص283.

[3] ابن رشيق، قراضة الذهب، ص85.

نوع الاجتلاب: إذ يقول عن هذا النوع : " **على أن الاجتلاب يكون لغير معنى السرقة وهو أن يرى الشاعر بيتا يصلح لموضع من شعره فيجتلبه** " [1]

و قال قد فعل **جرير** في بيتي **المعلوط السعدي** :

[كامل]

إن الذين عدوا بقلبك غادروا وشلا بعينيك لا يزال معينا

غيض من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا

ولقد علق ابن رشيق في ذلك بقوله: " **هما من أفضل ما في قصيدته** " [2]

– كما أن هذا النوع نجده أنه قد تناوله **ابن رشيق** في مصنفه **العمدة،** غير أنه غير في الشعراء ففي **العمدة** اعتبر أن **الاجتلاب** هو نوع من **الاصطراف،** إذا كان الأخذ جزئي **(إجتلاب)** ولقد اعتبره سرقة لكن نلاحظ أن هناك تناقض ففي مصنفه **العمدة** اعتبره سرقة، وفي مصنفة **قراضة الذهب** اعتبره معنى لغير السرقة.

كما أنه لم يقدم لنا قول **جرير**.

وما نلاحظه أيضا من خلال القيام بدراسة المصنف أنه صنف السرقات من حيث هي الحسن والجودة ومن حيث القبح والرداءة.

فمن حيث النوع الأول : قال : **ومن لطيف الأخذ** (وهو نوع آخر تابع لأنواع السرقات) قول **السري الموصلي** :

[وافر]

فأدناها من الصب التنائي كذلك الشمس يدنيها الغروب [3]

أخذه أخذا بديعا من **قول أبي علي البصير**:

[كامل]

---

[1] ابن رشيق، قراصنة الذهب، ص85.

[2] المصدر نفسه، ص 85.

[3] المصدر السابق، ص 91.

تأنق قليلا وهي ترعد خيفة كما تتأنى حين تعتدل الشمس [1]

ثم يقول فإن بينهما تناسبا خفيا فالشمس عند **أبي علي البصير** كبدت السماء بحيث أن تخيل للناظر أنها متباطئة السير وحتى وإن لم تكن ذلك فنحن نعلم أن الشمس تدور حول الأرض بطريقة سريعة جدا، أما الشمس عند **السري الموصلي** لما صارت في المغرب [2].

فهذا الأخذ اعتبره **ابن رشيق** لطيف بحيث أن بينهما تناسبا خفيا، وهذا النوع قد تطرق إليه **ابن رشيق** من قبل وقد أطلق عليه **النظر والملاحظة** ولا داعي لشرح المصطلح لأنه سبق شرحهما.

ومن حسن الأخذ **ظريف السرقات**

قال **عنترة**، لم يذكر العجز البيت **[كامل]**

يا شاة ما قنص لمن حلّت له حرمت علي وليتها لم تحرم.

ثم قال :

[كامل]

فكأنما تعطر بجيد جداية

و أراد أن ينزهها عن عيب المها والغزال فقال: **[كامل]**

إذ تستبيك يدي غروب واضح عذب مذاقته لذيذ المطعم [3]

فأخذه **البحتري** فقال: **[كامل]**

عارضنا أصلا فقلنا الربرب حتى أضاء الأقحوان الاشنب

ولقد اعتبر ابن **رشيق** هذين البيتين أنهما من:

[1] ابن رشيق، قراضة الذهب، ص91.

[2] المصدر نفسه، ص 91.

[3] المصدر نفسة، ص 93.

ظريف السرقات وخفيها " لا يؤبه له والقول في بيت عنترة منسوب إلى أبي العباس ثعلب رأيته بخط بعض أصحابه، فلما رأيته علمت أن البحتري فطن له فطنة ثعلب أو وافق خاطره خاطر عنترة "[1]

ومن الأنواع التي تندرج تحت مقاييس **الحسن والجودة** قضية **السرقة المغتفرة** إذ يعرفها " **بأنها من نظم المنثور كقول امرأة من أهل البصرة لبشار أي رجل أنت لو كنت أسود الرأس واللحية فقال بشار :" أما علمت أن بيض البزاة أثمن من سود الغربان ؟" فقالت: " أما ذلك فحسن في السمع فمن لك بأن يحسن شيبتك في العين كما حسن قولك في السمع** " وكان **بشار** يقول :" **ما أفحمني قط غير هذه المرأة** "

أخذ **البحتري** قول **بشار** فقال : **[خفيف]**

فبياض البازي أحسن لونا إن تأملت من سواد الغراب [2]

و هذا النوع تمت دراسته في **العمدة** تحت عنوان **كشف المعنى** أو **فتح المعنى.**

و من الأنواع التي أدرجها ضمن مقاييس **القبح والرداءة** قبح الأخذ وفاضح السرقة وذلك في مصنفه **قراضة الذهب** فجاء بالمعنى في غير اللفظ

كقول **ابن الرومي** يصف فوارة :

[رجز]

بعين يقظي وبجيد ناعسه

فقال **ابن المعتز** يصف فوارة :

[منسرح]

بعين يقظي وجيد ناعسة طال عليها الوقوف والسهر [3]

و هذا النوع من الأخذ اعتبره **ابن رشيق** من **القبح.**

[1] ابن رشيق، قراضة الذهب، ص 93.

[2] المصدر نفسه، ص95.

[3] ابن رشيق، قراضة الذهب، ص104.

أما النوع الأخير الذي تطرق إليه هو **التلفيق** إذ قال :" **ومن ضروب السرقات التلفيق، وهو أن يميز الشاعر المعاني المتقاربة ويستخرج منها معنى مولدا يكون له كالاختراع**"[1]

نلاحظ أن هناك تناقض في تعريف **التلفيق:** فالتلفيق في العمدة عرفه بأنه تأليف البيت من أبيات قد ركب بعضها من بعض [2]

وكنتيجة لما تقدم ذكره، يمكن القول إن **ابن رشيق القيرواني** في حديثه عن السرقات الشعرية نلاحظ أنه درسها دراسة موسعة، حيث انتقل من التنظير وذلك في مصنفه **العمدة** إلى التطبيق وذلك في كتابه **قراضة الذهب** حيث حاول إعطاء مفاهيم ينظر بها لهذه القضية. كما أنه فصل بين ما اعتبرها سرقة حقيقية، وما اعتبرها معاني متداولة، كما بيَّن لنا موطن الأخذ والنقل.

كما لم يفت **ابن رشيق** أن يتحدث خلال هذه القضية عن الطرق الفعلية للسرقة.

فنلاحظ أن **ابن رشيق** اعتمد على آراء من سبقوه في هذه القضية، فهو لم يأت بجديد، وإنما تمثل بآراء السابقين وقام بإعادة صياغتها من جديد مفيدا من تجاربه الذاتية وتجارب الآخرين، غير أننا لا ننكر تمثله الجيد للقضية وعرضها الجميل، بحيث أضاف إلى جهود السابقين تجاربه الذاتية وآرائه وثقافته.

فدراسته لهذه القضية كانت شاملة، فقد درسها من الباب الواسع فشخصيته كانت قوية وواضحة ولقد كان ناقدا متذوقا يتحسس مواطن الجمال ومواقع القبح، ويشير إلى الأخذ الظاهر وغير الظاهر والأخذ المستحسن والأخذ القبيح.

كما نلاحظ أيضا أن **ابن رشيق** في بحثه عن السرقات لقد أسهم إسهاما بعيدا في توجيه النظر نحو البيت أو بيتين أو العبارة، دون النظر إلى القصيدة كاملة.

كما أنه لم يبحث عن مبادئ ومقاييس دقيقة مقننة.

فنلاحظ أن **ابن رشيق** في حديثه عن السرقات الشعرية بعيد عن التصور الحداثي الذي يرى في تفاعل النصوص سمة من سمات الشاعرية والتفوق، ودليل الخبرة والتمكن

[1] المصدر نفسه، ص106.

[2] ينظر: ابن رشيق، العمدة، ج2، 283.

ومن هنا يتضح لنا أن المنطلقات المعرفية التي تقوم عليها السرقات في المفاهيم النقدية العربية تقوم على مبدأ البحث عن الأصول التي ينبثق عنها نصا ما واستعادتها أي تحديد أبوة النص ومالكه الشرعي.

ثانيا: قضية اللفظ والمعنى

لم تنل قضية من قضايا النقد العربي ما نالته قضية اللفظ والمعنى من صراع وجدل، فقد فرغ لها جهابذة النقد العربي، وأوسعوها تحليلا وتقنينا منذ **الجاحظ** حتى **عبد القاهر الجرجاني**، مرورا **بابن قتيبة، وابن طباطبا، وقدامة ابن جعفر، وابن المعتز والآمدي والجرجاني وسواهم**، ولقد ارتبط تحليل هذه القضية وكذلك نتائج هذا التحليل بعدد من القضايا، ولعل أهمها هي : قضية السرقات الشعرية وعمود الشعر، وقضية الإعجاز القرآني.

ولعل أول من أثار قضية اللفظ والمعنى بطريقة مكثفة هو **بشر بن المعتمر (ت 210هـ)** إذ قال:" **ومن أراد معنى كريما فليلتمس لفظا كريما فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف**"[1]

وبهذا يقر **بشر بن المعتمر** بانفصال اللفظ عن المعنى، وأن المعنى يمكن أن يوجد في لفظ لا يلائمه.

ولقد اتبعه في هذا الرأي **العتابي (ت220 هـ)** إذ يقول في هذا السياق:" **الألفاظ أجساد، والمعاني أرواح، وإنما تراها بعيون القلوب، فإذا قدمت منها مؤخرا أو أخرت منها مقدما أفسدت الصورة، وغيرت المعنى، كما لو حول رأس إلى موضع يد، أو يد إلى موضع رجل، لتحولت الخلقة وتغيرت الحلية** "[2]

يتضح لنا من قول **العتابي** أنه فصل بين اللفظ والمعنى، مع أنه يدعو إلى حسن التلاؤم بينهما.

وما نلاحظه على قول **بشر بن المعتمر** وقول **ألعتابي** أنهما يسوقان قضية اللفظ والمعنى، وكأن انفصالهما مسألة مقررة، أي أنها غير خاضعة للحوار والجدل ن وهذا يدل على أن

[1]–الجاحظ ،البيان والتبيين، تح عبد السلام محمد هارون، ج1/ص 136.

[2]أبو هلال العسكري ،الصناعتين، ص:167

قضية انفصال اللفظ عن المعنى قديمة أو هي من المسلمات القديمة التي لا يشك فيها أحد ولا يتحاور فيها اثنان، آما الذي يخضع للحوار في هذه المسألة فهو حسن التلام بينهما.

ويعد **الجاحظ** (ت 225هـ) فهو أول من قدح شرارة هذا الجدل وذلك في كتابه **الحيوان، البيان والتبيين،** إذ يرى في مقدمة كتابه **البيان والتبيين** أن هناك عيبان يلاحقان بالكلام الأول أطلق عليه **السلاطة والهذرة** [1] والثاني **العي والحصر** [2]أما الحد المتوسط الذي تؤدي فيه الألفاظ المعاني المراد تأديتها تأدية كاملة فقد أطلق عليها **الجاحظ** اسم **البيان** [3]

ولعل من أشهر النصوص النقدية التي جاء بها، والتي تخص قضية اللفظ والمعنى مقولته الشهيرة:" **والمعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والقروي والبدوي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج ن وفي صحة الطبع وجودة السبك.. فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير**"[4].

ويتضح من قول **الجاحظ** هو إن الشعر يصنع بالكلمات وليس بالمعاني فقد وضع الأناقة والجودة في الألفاظ، فالمقاييس عنده للقيمة الأدبية إنما يقوم في جزالة اللفظ وجودة السبك وحسن التركيب، كما اعتبر أن الألفاظ هي الأساس في تقدير القيمة النفسية للعمل الأدبي، **فالجاحظ** هنا ينتصر للفظ ويجعل له الشأن في الشعر.

ويذهب **الجاحظ** إلى تقسيم اللفظ والمعنى تقسيما جديدا فيقول : اللفظ منه الحقير ومنه الشريف.

أما المعنى منه الساقط ومنه الكريم.

وهنا يظهر لنا أربعة أنواع من الكلام عند الجاحظ وهي:

---

[1] كثرة الكلام بلا فائدة

[2] عجز الكلام عن أداء المعنى، ينظر البيان والتبيين

[3] لغة: الكشف والظهور، اصطلاحا: أصول قواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق متعددة وتراكيب متفاوتة.

[4] الجاحظ ، الحيوان ، ج3/ ص 131-132.

1-فاسد اللفظ ساقط المعنى

2-شريف اللفظ كريم المعنى

3-شريف اللفظ ساقط المعنى[1]

4-ساقط اللفظ كريم المعنى.

لقد ساهمت فكرته هذه في ترسيخ أفضلية اللفظ على المعنى والفصل بين الشكل والمضمون

ولقد اتبعه في هذا الرأي **أبو هلال العسكري**فحذا حذوه وسلك منهجه، حتى تقاربت الألفاظ وتشابهت العبارات إذ يقول :" **الكلام –أيدك الله- بحسن سلاسته، وسهولته، ونصاعته، وتخير ألفاظه وإصابة معناه، وجودة مطالعه، ولين مقاطعه، واستواء تقاسيمه، وتعادل أطرفه، وتشابه أعجازه بهواديه ومواقفه مآخير لمبادئه حتى لا يكون في الألفاظ أثر، فتجد المنظوم مثل المنثور في سهولة مطلعه وجودة مقطعه وحسن رصفه وتأليفه وكمال صوغه وتركيبه، فإذا كان الكلام كذلك بالقبول حقيقيا وبالتحفظ خليقا كقول معن بن أوس :**

لعمرك ما أهويت كفى لريبة ولا حملتني نحو فاحشة رجلي

ولا قادني سمعي ولا بصري لها ولا دلني رأيي عليها ولا قلبي

وأعلم أنني لم تصبني مصيبة من الدهر إلى قد أصابت فتى قبلي

ثم يواصل كلامه ومما هو فصيح في لفظه جيد في رصفه

قول **الشنفرى** :

أطيل مطال الجوع حتى أمسيته وأضرب عنه القلب صفحا فيذهل

[1]الجاحظ ، البيان والتبيين، ص 142

ولولا اجتناب العار لم يلق مشرب يعاش به إلا لدى ومأكل [1]

فمعيار سلامة الكلام عنده تنحصر في سلامة اللفظ وسهولته ونصاعته، وجودة مطالعه، ورقة مقاطعه، وتشابه أطرافه، كما أنه يعزز كلامه ورأيه هذا بشواهد يختارها، وهذه الشواهد تعنى بالصياغة اللفظية تاركا وراؤه المعاني.

ومن النقاد الذين تبنوا منهج الجاحظ نجد الناقد **ابن قتيبة**، فابن قتيبة من الذين يفصلون فصلا حاسما بين اللفظ المعنى، ومن الذين يرون مجيء المعنى الحسن في اللفظ الرديء، بعد إن قسم الشعر على أربعة أضرب، ضرب حسن لفظه وجاد معناه، وضرب حسن لفظه وقصر معناه، وضرب جاد معناه وقصر لفظه، ولفظ قصر فيه اللفظ والمعنى. ..[2]

فابن قتيبة في تقسيمه الرباعي للفظ والمعنى نلاحظ أنه تأثر بالجاحظ وعليه فإن اللفظ والمعنى يتعرضان معا للجودة والقبح ولا مزية لأحدهما على الآخر.

أما ابن **طباطبا** فلم يخرج عن دائرة الفصل بين اللفظ والمعنى إذ يقول في هذا السياق :" **وللمعاني ألفاظ تشكلها فتحسن فيها، وتقبح في غيرها، فهي كلها كالعرض للجارية الحسناء التي تزداد في بعض المعارض دون بعض، وكم من معنى حسن قد شين بمعرضه الذي أبرز فيه وكم من معرض حسن، قد ابتذل على معنى قبيح** "[3].

فهذا نص واضح للدلالة في الفصل بين اللفظ والمعنى، ومقتضاه أن المعنى يوجد ثم تجيء الألفاظ لتدل عليه، وربما قصرت هذه الألفاظ في الدلالة غير أن المعنى باق كما هو، فمن الأولى أن تجيء الألفاظ مشاكلة للمعاني.

---

[1] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص170.

[2] ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ج1، ص :64-65

[3] -ابن طباطبا،عيار الشعر، ص 8.

ثم جاء **قدامة ابن جعفر** ووقف عند قضية اللفظ والمعنى وفصل بينهما منذ أن عرف الشعر بأنه :" **قول موزون مقفى بدل على معنى** "[1]

وقد قال أيضا:" **المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة والشعر فيها كالصورة** "[2]

نلاحظ أن **قدامة ابن جعفر** تأثر بأرسطو الذي كان يرى أن الموجودات تتألف من عنصرين هما :المادة والصورة، فالصورة تمنح هذه المادة شكلها غير أن **قدامة** الذي فصل بين اللفظ والمعنى لم يعتنق هذه الفكرة الأرسطية ابتغاء التوحيد بين اللفظ والمعنى، أي أنه لم يجعل الإثنتين شيئا واحدا وإنما أراد أن يقول : إن المعاني معروضة للناس، وإنما الفضل لمن يمنح هذه المعاني الصورة التي تصير بها شعرا

أما **عبد القاهر الجرجاني** فقد نظر إلى العلاقة بين اللفظ والمعنى نظرة عميقة، أغنت تصوره لكثير من قضايا الشعر، وبواسطتها استطاع تنظيم كثير من المفاهيم النقدية، ولم يستطيع عبد القاهر إنكار الفصل بين اللفظ والمعنى واستحالة وجود أحدهما دون الآخر، لا سيما في التركيب الشعري حيث قال في اللفظ : "**إنهم لما جهلوا شأن الصور، وضعوا لأنفسهم أساس، وبنوا على قاعدة، فقالوا أنه ليس إلا المعنى واللفظ ولا ثالث لهما، وأنه إذا كان كذلك وجب إذا كان لأحد الكلامين فضيلة لا تكون للآخر، ثم كان الغرض من أحدهما هو الغرض من صاحبه أن يكون مرجع تلك الفضيلة إلى اللفظ خاصة وأن لا يكون لهما مرجع إلى المعنى من حيث أن ذلك زعم يؤدي إلى التناقض وأن يكون معناهما متغايرا وغير متغاير معا** "

فمن خلال هذا القول يرفض **الجرجاني** أن نسبة القيمة الجمالية الشعرية إلى اللفظ والتصغير من شأن المعنى، كما أنه رفض أن تكون القيمة الجمالية في الشعر راجعة إلى المعنى وحده، إذ يقول في هذا السياق : "**فسبيل المعنى أن ترى الواحد منهما غفلا ساذجا عاميا**

[1]–قدامة ابن جعفر، نقد الشعر، ص11.

[2]–المصدر نفسه، ص 13.

موجودا في كلام الناس كلهم، ثم تراه نفسه وقد عمد إليه البصير بشأن البلاغة وإحداث الصور في المعاني، فصنع فيه ما يصنع الحاذق حتى يعرف الصنعة، ويدق في العمل، ويبدع في الصياغة "[1]

فمن خلال هذين القولين **للجرجاني** نلاحظ أن أنكر إن تكون المزية لأحدهما على الآخر، فهو نظر إلى هذه القضية نظرة تآزر وتلاحم.

أما **حازم القرطاجني** * فهو لا ينظر إلى الألفاظ نظرة انفصال عن المعاني والأغراض:" إذ يقول في هذا السياق : **التوافق بين الألفاظ والمعاني والأغراض من جهة ما يكون بعضها في موضعه من الكلام متعلقا ومقترنا بما يجانسه ويناسبه ويلائمه من ذلك "**[3].

فحازم لن ينظر إلى اللفظ منفصلا عن المعنى، ولا المعنى منفصلا عن اللفظ بل كانت نظرته المزج بينهما في تركيب واحد.

أما ابن رشيق فقد اهتم بهذه القضية وقد خصص لها بابا سماه **باب في اللفظ والمعنى** وقد عرض فيه لجملة من الآراء المختلفة والمتعددة التي تخص هذا الموضوع قائلا :" **فمنهم من يؤثر اللفظ على المعنى " ثم يواصل كلامه " ومنهم من يؤثر المعنى على اللفظ فيطلب صحته ولا يبالي"، ويذكر أن الذين يؤثرون اللفظ هم فرق مختلفة باختلاف نظرتهم للفظ، وقد قسمهم على ثلاث فرق أولاها: قوم يذهبون إلى فخامة الكلام وجزالته على مذهب العرب من غير تصنع، ثانيها هي الفرقة التي جعلت اللفظ غايتها وجعلته جلبة وقعقعة بلا**

[1]–المصدر نفسه، ص 97.

[2]–حازم بن محمد بن حازم أو أبو الحسن بن محمد بن حازم القرطاجني، كان شاعرا وأديبا أخذ عن أبي علي الشلوبين، كان من اهل قرطاجنة، هاجر إلى تونس ومراكش، توفي 1386م ينظر ويكيديا لاطلاع اكثر

[3]–حازم القرطاجني ،منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 44.

طائل معنى، أما الفرقة الثالثة هي التي اختارات سهولة اللفظ واغتفر له فيها الركاكة واللين المفرط "[1].

واللفظ والمعنى عند **ابن رشيق** شيئا واحدا متلازما ملازمة الروح للجسد فلا يمكن الفصل بينهما.

ثم يواصل **ابن رشيق** الحديث عن هذه القضية مبديا رأيه إذ يقول :" **اللفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوته فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهجنه عليه كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعور، وما أشبه ذلك من غير أن تذهب الروح، وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ كالذي للأجسام من المرض بمرض الروح "**[2]

وما نلاحظه على هذا النص أن ابن رشيق ربط بين اللفظ والمعنى وجعلهما شيئا واحدا متلازما، فقد شبه اللفظ بالجسم، وشبه المعنى بالروح، والعلاقة بينهما قوية جدا شبه العلاقة بين الجسد والروح لذلك يرى صعوبة الفصل بينهما، وهذا يدل على إدراكه لأهمية تكامل عناصر الفن الأدبي وصعوبة إرجاع القيمة الفنية والأدبية إلى أحدهما دون الآخر، لذلك قرر بأنه إذا اختل أحدهما ضعف العمل الأدبي.

يتضح من كل هذا أن كل ناقد قد أدلى بدلوه في هذه القضية، وكل واحد قد قدم رأيه، ولكن الذي يهمنا هو كيف عالج **ابن رشيق** هذه القضية من خلال مصنفه **قراضة الذهب ؟**

ومن خلال دراستي لكتاب **قراضة الذهب** وجدت أن **ابن رشيق** من خلال مصنفه هذا لم يدرس القضية من ناحية أيهما يفضل في العملية الشعرية اللفظ أو المعنى، وما لاحظته هو

[1]-ينظر: ابن رشيق "العمدة"، ص112.

[2]المصدر السابق، ص 112.

أنه أطلق بعض الصفات على اللفظ والمعنى، كما استدل في ذلك بشواهد من الشعر فمثلا أنه أطلق صفة **هجين اللفظ** ولقد أعطى مثالا في ذلك إذ يقول في هذه الصفة :

سئل **الأعشى** *عن معنى قوله في الخمر :

كدم الذبيح سلبتها جريالها

فقال: شربتها حمراء وبلتها بيضاء فتناول **ابن المعتز** [2]هذا وقال ابن رشيق معلقا في ذلك وليته لم يفعل فقال :

ولا يزال كأس الشرب دائرة

يبول هما ويحسو اللهو والطرب

غير انه جاء **هجين اللفظ** بارد الاستعارة، وقد وقع الحسد بعد السبل

ومن الصفات التي أطلقها أيضا: هي **اختصار اللفظ**

كما استدل في ذلك بشاهد شعري:

قال بشار:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فقال: فاتبعه سلم الخاسر واختصره اختصارا لطيفا إذ قال:

من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور[3]

[1]–هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبةمن بكر بن وائل، لقب بالأعشى لأنه كان ضعيف البصر، وهو من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، ولد ونشأ في منفوحة (السعودية)

[2]–ابن رشيق، قراضة الذهب، ص 98.

[3] ابن رشيق ، قراضة الذهب، ص98.

-ومن الصفات التي أطلقها أيضا هي:**حسن اللفظ**

إذ يقول في هذا السياق :" **فإن هذا وأشباهه مما انفرد به كل واحد من الشعراء وإن كان ذلك قليلا جدا لا يكاد يتناوله حاذق إلا أن يزيد فيه زيادة حسنة أو ينقص من لفظه ويستوفي معناه** "[1].

ولقد أعطى في ذلك مثال إذ يقول **جميل** في صفة امرأة فاجأبها :

غدا لاعب في الحي لم يدر أننا نمر ولا أرض لنا بطريق

فلما افتجيناه اتقانا بكلمة وأعلن من روعاتنا بشهيق

إذ علق ابن رشيق على هذا البيت فقال:" **كيف وصف حقيقة الحال حتى صورها تصويرا حسن لفظ أو جزاله بنيته** "[2]

ومن الصفات التي أطلقها على اللفظ هي **تشابه العبارتين**

وقد استدل في ذلك بشاهد :

قال: قال **ابن المعتز** :

[كامل]

يا من سبا قلبي بأول نظرة في نظرة أخرى إلى شقاء

[طويل]

قفي تُغرمي الأولى من اللحظ مهجتي بثانية والمُتلف الشَيء غارمهٌ[3]

[1]-المصدر نفسه، ص 57.

[2]المصدر نفسه، ص 57.

[3]-ابن رشيق، قراضة الذهب، ص 78.

فقال **ابن رشيق** معلقا على هذين البيتين: فجاء بمعنى من **ابن المعتز** وقام **أبو الطيب** ونقله .[1]

أما الصفة التي أطلقها هي **اختلاف العبارتين**

قال **الطريس بن عبد الله**

[طويل]

قضينا شريكا دينه كان عندنا بني عامد والحسن يوصف أحمرا

يذكر أن دما كان لهم في الأزد فأدركوا بثأرهم

نقله **بشار** فقال يخاطب عشيقته

[كامل مجزوء]

فإذا خلونا فادخلي في الحسن إن الحسن أحمرٌ [2].

ورواه بعضهم " في الحمر إن الحسن" وكلا القولين إنما يراد به الثياب، وفي قولهم: إن الحسن أحمر ثلاثة أقوال أحدها أن فيه مشقة لا ينال بعدها كما يقال الموت: الأحمر لما يراق من الدماء وكأنه كناية عن القتل.

والقول ثان: إنه يراد به ظهور الدم في الوجه، والقول الثالث: الحمرة المعروفة لأنها أشهر الألوان وأكثرها موافقة لكل من لبسها ولبس غيرها من الأولان كذلك[3].

أما فيما يخص المعنى فنجد أنه أطلق لفظ **إبراز المعنى** وقد علق على هذه الصفة بقوله " **من محاسن هذا الباب إبراز المعنى وحذف الفضول** " [4]

---

[1] ينظر: أبن رشيق، قراضة الذهب، ص78.

[2] المصدر السابق، ص:78.

[3] المصدر السابق، ص 78-79.

[4] ابن رشيق، قراضة الذهب، ص 64.

كقول الأول أنشده **ابن قتيبة** :

[طويل]

ولو تكشف الأضلاع التي تحتها لسعدى بأوساط الفؤاد مطارب

لها نعم من ماثل الحب واضع بمجتمع الأشواق باد وقارب

هذا فيما يخص **إبراز المعنى،** أما فيما يخص الصفة الثانية [1] فهي **نقل المعنى** مستشهدا في ذلك ببيت من الشعر **لعنترة:**

[كامل]

هزجا يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الأجذم

فلم يحسر عليه أحد غير أن ذا الرمة **نقل المعنى** الصفة إلى الجندب فقال:

[بسيط]

كان رجليه رجلا مقطف عجل إذا تجاوب من برديه ترنيم [2]

ومن الصفات التي قام بإطلاقها على المعاني هي صفة **فتح المعنى** فقال الشاعر يردد لفظا لمعنى فيفتح به لصاحبه معنى سواه لولا هو لم ينفتح كقول **الفرزدق** :

[طويل]

وما أنا بالباقي ولا الدهر فاعلمي براض بما قد كان أذهب من عقلي

أراد ولا الدهر براض فقوله في نسق الكلام

" وما أنا بالباقي ولا الدهر" هو الذي فتح للبحتري قوله للفلك [1]

[1] المصدر نفسه، ص64.

[2] ابن رشيق، قراضة الذهب ، ص 69.

-يتضح من كل ما سبق أن ابن رشيق لم يدرس هذه القضية من الباب الواسع كما فعل في كتابه العمدة.

ويتضح أيضا أنه في دراسته لهذه القضية كان موجزا بحيث ذكر بعض الصفات للمعاني، والبعض الآخر للألفاظ.

[1] المصدر نفسه ، ص 43.

الآراء النقدية في كتابة قراضة الذهب :

ثالثا :الطبعة والصنعة

تعد هذه القضية من أهم القضايا التي شغلت الفكر الإنساني منذ القديم، ولقد اهتم بها الأدباء والرواة عموما، والشعراء والنقاد خصوصا، ويعد **بشر بن المعتمر** من أوائل النقاد الذين نادوا بضرورة الطبع في العمل الإبداعي.

و من الذين تحدثوا عن هذا الموضوع الناقد **ابن قتيبة،** ولقد حاول أن يفرق بين الشاعر المطبوع والمتكلف، ومن النقاد الذين اهتموا بهذه القضية نجد **الجاحظ،** وذلك في كتابه **البيان والتبيين.**

أما الناقد **ابن رشيق،** فقد خصص له بابا في كتابه **العمدة.**

إن الطبع، على اختلاف صيغه الصرفية، وهيئات تركيبية، دورا في إنتاج الدلالة الإبداعية والنقدية، كما يظهر لنا في (**المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**) الذي جاء لمادة (**ط ب ع**)و منها (**طبع، نطبع، يطبع، طبع**)، ويمثل ذلك في قوله عز وجل " **بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا** " النساء 155 وقوله : " **أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم** " النحل 108 القصد من ذلك، أنه تعالى قد أزاح عن الكفار القدرة على العلم والمعرفة.

و كذلك قوله:" و**نطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون** " الأعراف 100 وقوله:" **طبع على قلوبهم فهم لا ينقصون** " التوبة 87.

وعليه فان الصيغ المشتقة من مادة (**ط ب ع**) في آيات النص القرآني، تعني انتقاء القدرة على فعل الشيء لما أسندت إلى الذات الإلهية التي ختمت على قلب الكافر، فأصبح لا يفهم وبالتالي وقع فعل العقاب.

ولقد جاء معنى طبع في **لسان العرب** أنه لا فوق بين الطبع، الطبيعة، الطباع، فإنها جميعا ترمز إلى: **الخليقة والسجية التي جُبل عليها الإنسان** " [1]

[1] ينظر لسان العرب، لابن منظور، م 8، دار صادر، بيروت (دت) ص 232. 233.

كما أورد صيغة (طابع) التي تعني الحسن والطبيعة [1] مثل ما أنشد **اللحياني** :

له طابع يجري عليه، وإنما تفاضل ما بين الرجال الطبائع [2]

الصنعة:

ورد في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لفظ **(صنع)** في هيئات اشتقاقية مختلفة ومتنوعة، تارة ينسب الفعل إلى الله تعالى **(كقوة خارقة ولا نهائية)**، وحينا آخر تكون النسبة إلى الإنسان قال تعالى : "**صنع الله الذي أتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون** " النمل 88.

إن صيغة **(ص ن ع)** في الآية القرآنية ارتبطت بالإرادة والإتقان والعلم، قال عز وجل: " **وحبط ما صنعوا فيها** " هود 16.

قال تعالى: " **إن الله خبير بما يصنعون** " فاطر 8

إن صيغة (ص ن ع) في الآيات القرآنية الواردة في الذكر الحكيم فإن الإنسان الصانع، فيها هو الصانع بمعنى الإرادة والقصد، والتنفيذ والاختراع وقد تحمل هذه المادة الصرفية دلالة الاختراع والبناء بوحي من الخالق المطلق، وذلك مصداقا لقوله عز وجل:

" **واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون** " هود 37. والدلالة الدينية لصيغة **(ص ن ع)** ترمز إلى مسؤولية الإنسان قيما يعمل ويسلك وينتج، وترتبط بشرط الاتفاق والإحكام **(البراعة)**، و قد أكد الله تعالى أن اتقانه كامل ونهائي وهذه الدلالة العقائدية لم ينته إليها النقاد في حكمهم على حضور الشاعر في تأليفه وتشكيله لأبياته.

أما في المعجم الأدبي :

- **لغة:** كل علم أو فن مارسه الإنسان حتى يمهر فيه يصبح حرفة له.
- **اصطلاحا:** تعني أولا: تحصيل الأديب على علوم قديمة بعينها ومحاكاة الفحول بالممارسة والمران حتى يكتسب أسلوبا مميزا في إنشاء الأدب.

[1] المرجع السابق، ص 232.

[2] المرجع السابق، ص232.

▪ **ثانيا** : هي الجهد المقصود، الذي تجسده براعة اختيار الألفاظ أو صياغة الكلام بضروب البديع وإثرائه لطريق من الأخيلة والمعاني.

أما في مجال الإبداع الشعري، فان (**ص ن ع**) تعني المهارة وبلاغة القول، فلا فرق بين براعة اليدين، وبراعة الكلام والتأليف.

أن النقاد أجمعوا على أن الشاعر المطبوع، هو الشاعر الذي يعتمد على طبعه في المقام الأول، أما شعراء الصنعة هم شعراء الذين يسعون إلى تثقيف أشعارهم، وهذا يعود إلى اختلاف الشعراء من حيث الموهبة والطبع وتفاوتهم من حيث الخبرة والثقافة. وعلى هذا الأساس انقسم النقاد إلى فريقيين: منهم من يحبذ اعتماد الشاعر على طبعه وعدم المبالغة في التكلف، أي لا يقبلون إلا ما جاء عفويا دون قصدا وتكلف.

ومن أبرزهم، **ابن قتيبة والآمدي، والقاضي الجرجاني.**

أما الفريق الأخر فيميل ذوقه إلى استخدام البديع ولكن يحبذ عدم الإسراف فيه، ومن أبرزهم : **ابن المعتز وقدامة بن جعفر، وأبي هلال العسكري.**

كما اهتم بهذه القضية نقاد مغاربة مثل: **ابن رشيق.**

فابن قتيبة حدد الشعر المطبوع في قوله :" و**المطبوع من الشعراء من مسح بالشعر واقتدر على القوافي، وأراك في صدر بيته عجزه وفي فاتحته قافيته، وتبينت على شعره رونق الطبع ووشي الغريزة** "[1]

كما أنه بين لنا أن كل شاعر يجيد في نوع أكثر من آخر إذ يقول في هذا السياق:

" **والشعراء أيضا في الطبع مختلفون منهم من يسهل عليه المدح ويعسر عليه الهجاء، ومنهم من يتيسر له المراثي، ويتعذر عليه الغزل**"[2]

فمن خلال قوله يبين لنا أن شعراء الطبع يختلفون في طبعهم فمنهم من يسهل عليه قول الشعر في المدح، ويصعب عليه في الهجاء.....

[1] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص 69.

[2] المصدر نفسه، ص 72.

أما المتكلف عند **ابن قتيبة** فيحدده بقوله :" **والمتكلف من الشعر وإن كان جيدا، فليس به خفاء على ذوي العلم لتبينهم فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكير وشدة العناء، ورشح الجبين، وحذف ما بالمعاني حاجة إليه وزيادة ما بالمعاني غنى عنه** "[1]

أما **القاضي الجرجاني** فقط ربط اختلاف لغة الأداء الفني بين الرقة والصلابة باختلاف الطباع والبيئة الاجتماعية، مستشهدا على أثر التحضر في رقة الشعر بشعر البحتري المطبوع [2].

أما **المرزوقي،** فرأى أن المطبوع يمليه طبع الشاعر عندما يتاح له المعنى اللطيف، فيسترسل في أدائه بأحلى لفظ استرسالا لا يكلفه مشقة ولا يكون من ورائه تكلف.

و لقد رأى **المرزوقي** أن المصنوع وليد التكلف وهو ما كثر فيه البديع وفارق عمود الشعر

أما **ابن رشيق،** فحاول إقامة مفهوم الطبع والصنعة على ضوء التطور التاريخي ولقد خصص **ابن رشيق** له بابا في كتابه **العمدة،** إذ يقول في هذا السياق:" **ومن الشعر مطبوع ومصنوع، فالمطبوع هو الأصل الذي وضع أولا، وعليه المدار، والمصنوع وإن وقع عليه هذا الاسم فليس تكلفا، تكلف أشعار المولدين** " [3]

فابن رشيق من خلال قوله هذا يرى أن الشعر أنواع، وهم الشعر المطبوع وهو الأصل الذي بني عليه، أما النوع الثاني فهو المصنوع وهذا الأخير بدوره ينقسم إلى نوعين : **مصنوع مهذب ومتكلف،** فالأول هو الذي يصدر عن نفس صادقة قادرة على قول الشعر دون تكلف، أي قول الشعر بكل سهولة دون تكلف.

ثم يواصل كلامه "**.....و العرب لا تنظر في أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل فتترك لفظة للفظة أو معنى لمعنى، كما يفعل المحدثون، ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزالته وبسط المعنى وإبرازه وإتقان بنية الشعر وإحكام عقد القوافي، وتلاحم الكلام بعضه ببعض** "[4]

---

[1] المصدر نفسه، ص 70.

[2] ينظر عبد القاهر الجرجاني لاطلاع اكثر.

[3] ابن رشيق، العمدة، ج 1، ص 116.

[4] المصدر السابق ، ص 116.

فابن رشيق من خلال قوله هذا يرى أن الشعراء القدماء كانوا لا يميلون إلى الزخرف اللفظي قصدا.

كما أنه يؤكد على أن العرب المتقدمين كان شغلهم يتجه إلى وضوح الكلام وقوته وإظهار المعنى وإحكام بنية الشعر، ويجب أن يكون الكلام منسقا ومتلاحما.

و لقد أعطى **ابن رشيق** مثال للصنعة، ولقد مثله بقوله **للحطيئة :**

فلا وأبيك ما ظلمت قريع بأن يبنوا المكارم حيث شاءوا.

ولا أبيك ما ظلمت قريع ولا عنفوا بذاك ولا أساءوا.

بعثرة جارهم أن ينعشوها فيعثر بعدها نعم وشاء.

فيبنى مجدها ويقيم فيها ويمشي إن أريد به المشاء. [1]

و ما نلاحظه على هذه الأبيات أنها كيف سعت الصنعة إلى حسن الصياغة وتوضيح المعنى فكلامه منسق ومحكم من حيث النظم والقافية، كما أن تكراره للشطر الأول من البيت لم يضعف الأسلوب، وإنما أكد المعنى بقوة وأكسبه عذوبة وسلاسة [2]

ثم يذهب **ابن رشيق** إلى القول أن النقاد يقبلون الصنعة في الشعر بشرط أن تأتي في بيت أو بيتين من القصيدة، فهي بذلك تدل على جودة شعر الرجل وإحساسه الصادق، وصفاء خاطره، فان كثرت أدت وأصبحت عيبا يشهد بخلاف الطبع [3]

كما تحدث **ابن رشيق** عن الصنعة عند المحدثين، فقال في هذا السياق : " **وليس يتجه البتة أن يأتي من الشاعر قصيدة كلها أو أكثرها متصنع من غير قصد كالذي يأتي من أشعار حبيب والبحتري، وغيرهما، وقد كانا يطلبان الصنعة ويولعان بها** "[4]

فابن رشيق يرى أنه لا يمكن أن يأتي بقصيدة بأكملها متصنعة من غير قصد، ولقد أعطى لنا مثال وهما **أبي تمام والبحتري.**

---

[1] ابن رشيق، العمدة، ج 1، ص 116.

[2] أحمد يزن، النقد الأدبي في القيروان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرباط ،د ط ، د ت ، ص 168.

[3] ينظر: ابن رشيق، العمدة، ج 1، ص 117.

[4] المصدر السابق ، ص 117.

فيقول : " **فأما حبيب فيذهب إلى مرونة اللفظ، وما يملأ الإسماع منه، مع التصنيع المحكم طوعا وكرها، يأتي للأشياء من بعد ويطلبها بكلفة ويأخذها بقوة** " [1]

يقر **ابن رشيق** أن صنعة **أبي تمام** متكلفة، ولقد كان يأخذها بقوة وهذا يعني أن **أبو تمام** أفرط في التصنيع.

أما عن **البحتري** فيقول:" **فكان أملح صنعة وأحسن مذهبا في الكلام يسلك منه دماثة وسهولة مع إحكام الصنعة، وقرب المأخذ، لا يظهر عليه كلفة ولا مشقة** "[2]

يقر **ابن رشيق** أن **البحتري** أملح صنعة بحيث لا تظهر عليه الكلفة والمشقة، ولقد كان معتدلا وصغته مقبولة (هو لا يكثر في استخدام التصنيع لذلك لم تظهر على شعره الكلفة والمشقة).

كما فرق **ابن رشيق** بين أنواع الشعر بحسب منزلتها من الطبع والصنعة ولقد وضع **ابن رشيق** شعراء التصنيع في مراتب مختلفة.

إذ يقول **(ابن رشيق)** في **عبد الله ابن المعتز** في صنعته:" **وما أعلم بشاعر أكمل ولا أعجب تصنعا من عبد الله ابن المعتز، فان صنعته خفية لطيفة** "[3]

أما عن شعر **مسلم بن الوليد** فهو أسهل من شعر **أبي تمام** وأقل تكلفا على الرغم من أنه أول من تكلف من المولدين [4].

ولقد اعتبر **ابن رشيق** كل من **بشار بن برد وابن هرمة** هم من فتق البديع من شعراء المحدثين.

وبعد أن ذكر شعراء التصنيع وقام بترتيبهم على حسب منازلهم، انتقل إلى الحديث عن المصنوع من الشعر التي لم تظهر عليه سمات التكلف يكون مستساغا ومقبولا، ويكون أقرب إلى النفس من الشعر المطبوع، وعليه فان الشعر المصنوع عند **ابن رشيق** يكون وسطا بين المطبوع والمكلف.

---

[1] المصدر نفسه، ص 117.

[2] ابن رشيق، العمدة، ج 1، ص 117.

[3] المصدر نفسه، ص 118.

[4] ينظر: المصدر نفسه، ص 118.

أما في مصنفه **قراضة الذهب** فقد تناول هذه القضية وأبدى رأيه فيها إذ يقول في هذا السياق :" **فلابد من الاتيان على هذا فصلا فصلا، إن شاء الله تعالى، و أنا أقتصر من جميع الشعراء في أكثر ما أورده على امرئ القيس لأنه المقدم لا محالة، وإن وقع في ذلك بعض الخلاف، فالمميز الحاذق يطرق البلاغة يجيد بكلامه من الفضيلة في نفسه مالا يجد لغيره من كلام الشعراء والبحث والتفتيش يزيدانه جلالة ويوحيان له على ما سواه مزية ويشهد الطبع، وذوق الفاطرة لذلك شهادة بينة واضحة لا تدركها شبهة إذا قصد الإنسان العدل وترك التعجب** "[1]

يتضح من خلال هذا النص : أن **ابن رشيق** يرى أن **امرئ القيس** هو الشاعر المطبوع، فهو المميز الحاذق، وذلك لحسن بلاغته واستعماله لكلام الجيد المناسب، فشعر **امرئ القيس** هو الأصل الذي بنى عليه ولقد أورد في ذلك مثال من بيت شعري **لأمرئ القيس** إذ يقول :

لمجرد قيد الأوابد هيكل.

فابن رشيق يرى أن **امرئ القيس** أنه أول من قيدها وسبق إلى الاستعارة البديعية، ولقد اتبعه الناس فقال بعضهم :

قيد الاوابد في الرهان جراد.

و لقد علق هذا البيت الشعري بقوله ". ..... **وسمي بعض خيل بني تغلب قيدا** " **اقتداء بامرئ القيس** "[2]

فابن رشيق يرى أن صاحب هذا البيت زاد زيادة كانت بالنقص أشبه.لأن الرهان لا يقيد، فهو يرى **(ابن رشيق)** أن **امرئ القيس** هو الشاعر المطبوع أي هو الأصل الذي يبنى عليه (في الشعر)

أما فيما يخص الصنعة، فانه تناولها من جانبين :

- ✓ **الأولى: قبح الصنعة**

[1] ابن رشيق، قراصنة الذهب، ص 20و21.

[2] المصدر نفسه، ص 22.

و لقد قدم لنا في ذلك مثال :

سئل **الأعشى** عن معنى قوله في الخمر

كدح الذبيح سلبتها جريا لها.

فقال: شربتها حمراء، وبلتها بيضاء فقال فتناول **ابن المعتز** هذا وليته لم يفعل، فقال:

ولا يزال وكأس الشرب دائرة يبول هما ويحسو اللهو والطرب [1]

فقال **ابن رشيق** معلقا على ذلك :" **غير أنه جاء هجين اللفظ بارد الاستعارة لاسيما وقد وقع الحسو بعد البول** "

فابن رشيق يرى أن هذا من **قبح الصنعة**، بمعنى أن يأتي شاعر بلفظ غريب، فيتداوله شاعر آخر كما اعتبره هو من **هجين اللفظ**.

✓ **أما النوع الثاني : حسن الصنعة :**

قال سئل **أبو نواس** عن أحب الشهور إليه، فقال : **شوال**، فقيل له : من أجل الفطور، قال : لا ولكن لبعده عن رمضان.

فأخذ **الحمدوني** هذا القول، فقال :

من شوال عل وحقيق بأمتنان

جاء بالقصف وبالغر ف ولذات القيان

أوفق الأشهر لي اب عدها من رمضان

فابن رشيق يرى أن هذا النوع هو من **حسن الصنعة** [2]، كما أطلق عليها اسم **نثر المنظوم** بمعنى أن يأتي شاعر بقول في النثر، فيأتي شاعر فيضعه في قالب فني من الشعر.

كما أورد لنا مثال أخر :

[1] ابن رشيق، قراصنة الذهب، ص 98.

[2] المصدر السابق ، ص 98.

كتب **الحجاج إلى قتيبة بن مسلم : " إني قد نظرت في سني، فإذا أنا ابن ثلاث وخمسين سنة، و أنا وأنت لذة عام، وإن امرأ قد سار إلى منهل خمسين سنة لقمت أن برده والسلام "**[1]

فأخذ **أبو محمد عبد الله بن أيوب التميمي** هذا القول المنظوم وهو عبارة عن نثر فقال :

إذ ذهب القرن الذي أنت فيهم وخلقت في قرب فأنت غريب

و إن امرؤ قد سار خمسين حجة إلى منهل من ورده لقريب [2]

فمن خلال هذين البيتين نستطيع أن نطلق أيضا على هذا النوع **الشعر المصنوع المهذب:**

' فهذا النوع من الشعر هو الذي اعتنى به صاحبه، وحرص على تنقيحه، وحاول أن يغير في بعض الألفاظ والعبارات.

كما يمكن أن نطلق عليها **الصنعة الخفيفة،** وهي التي يفضلها النقاد لأنها إن وجدت فهي تدل على مجارات الشاعر وفنية قصيدته كما في المثال السابق، وما نلاحظه على دراسة **ابن رشيق** لهذه القضية أنه لم يقدم لنا أن الشعر الحق هو الشعر المطبوع أو الشعر المصنوع، كما أنه لم يقر لنا بأن العملية الإبداعية تنطلق من الطبع إما عن طريق الصنعة

كما أنه لم يضع حدا فاصلا بين الشعر المطبوع والشعر المصنوع، ولم يفصل في الشعراء أيهما شاعر متصنع، كما لم يقدم لنا تفاوت مراتبهم. كما أنه لم يدرس هذه القضية من باب واسع، وإنما لمح لها أي لم يتعرض لها بنفس القضايا التي دارسناها **(قضية السرقات الشعرية، قضية اللفظ والمعنى).**

وعلى الرغم بأن شخصيته في تميزه بين الشعراء شخصية ناقدة.

[1] ابن رشيق، قراصنة الذهب، ص99.

[2] المصدر نفسه، ص99.

رابعا:الإبداع والاختراع

إن المتتبع لحركة النقد الأدبي عبر مسار تاريخه، يجد العديد من النظريات، التي حاولت سبر أغوار النص الشعري، والكشف عن طبيعته، وسر شاعريته، ولذلك فمنذ أن عرف الشعر طرحت عدة تساؤلات حول عملية الإبداع والاختراع، فتعددت الإجابات عبر العصور.

فمنذ العصر الجاهلي يلاحظ أن أكثر النقاد والشعراء يستخدمون مصطلح **بدع أو أبدع،** وعليه فإننا نستطيع أن نلاحظ أن هذه الكلمة كانت تدور في أذهان القدماء، وتظهر كلمة **بدع** من خلال الأبيات الشعرية الآتية:

قال **عدي بن يزيد:**

فلا أنا بدع في حوادث تعتري رجالا غدت من بعد بؤس بأسعد

و قال **حسان بن ثابت:**

قوم إذا حاربوا ضرو عدوهم أو حاولوا النفع في أشياءهم نفعوا

سجية تلك عنهم غير محدثة إن الخلائق فاعلم شرها البدع.

و لقد تحدث **ابن رشيق** عن العملية الإبداعية كغيره من النقاد ولقد اعتمد في ذلك على بعض الآراء.

يعرف **ابن منظور** الإبداع : هو إيجاد الشيء من لا شيء، وأبدعت الشيء اخترعه لا على مثال سابق، وفلان بدع في هذا الأمر، أي أول لم يسبقه أحد وقد وردت كلمة بدع بمعنى الخلق في القرآن الكريم وذلك مصدقا لقوله تعالى :" بديع السموات والأرض " وقال أيضا :" بديع السموات والأرض أني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم "[1]

و المعنى المراد من الإبداع من الآيتين هو أن الله أنشأ السموات والأرض على غير مثال.

[1] سورة الأنعام، الأية 101.

أما الجاحظ فيعرف البديع بقوله :" **ولا يعلم في الأرض شاعر تقدم في تشبيه مصيب أو معنى غريب عجيب، أو بديع مخترع، إلا كل جاء بعده أو معه أن هو لم يعد على لفظه فيسرق بعضه أو بدعيبه** "

و معنى هذا القول:. ....أن البديع هنا هو المبتكر الذي لم يسبق إليه أحدا وابن طباطبا هو أيضا تحدث عن البديع وذلك في قوله : " **والمحنة على شعراء زماننا في أشعارهم أشد على من كان قبلهم لأنهم قد سبقوا إلى كل معنى بديع، ولفظ فصيح، وحيلة لطيفة، وخلابة ساحرة** " [1]

أما الباقلاني [2] :

فقد استخدم هذا المصطلح في قوله :" **الذين يتعصبون له بعني امرئ القيس . ويدعون له محاسن يقولون هذا من البديع لأنه وقف واستوقف وبكى واستبكى** "

نلاحظ أن الدلالة العامة لكلمة البديع هنا اقترنت بالسبق والأولية.

أما في **لسان العرب** [3] "بدع الشيء يبدعه، بدعا، وابتدعه أنشأه وبدأه منه أبدعت الشيء، اخترعته لأعلى مثال، وأبدع الشاعر جاء بالبديع، والبديع المحدث العجيب.

ومادة "بدع" عند **ابن فارس** [4] تتكون من الباء والدال والعين أصلان : أحدهما ابتداء الشيء وصنعه لاعن مثال، و الآخر الانقطاع والكلال، فالأول قولهم : . أبدعت الشيء قولا أو فعلا، إذا ابتدأته عن سابق مثال، والله بديع السموات والأرض، والعرب تقول : ابتدع فلان الركي إذا استنبطه وفلان بدع في الأمر، قال تعالى : " و**ما كنت بدعا من الرسل** " سورة الأحقاف:9. أي ما كنت الأول.

و مصطلح الإبداع في مفهومه الشعري هو الإتيان بشيء لا نظير له ومنه جاءت الإبداعية نسبة إلي الإبداع لم يكن النقاد العرب بعيدين عن ساحة الشعر العربي، والبحث في أسبابه

---

[1] ابن طباطبا، عيار الشعر، ص15.

[2] البلقلاني، اعجاز القرآن، تح أحمد صقر، دار المعارف، د ت، 1963، ص72.

[3] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين : لسان العرب، "مادة بدع "، دار صادر، بيروت، ج8، ص6و7.

[4] ابن فارس أبو الحسن أحمد بن زكريا الرازي ، معجم مقاييس اللغة، وضع حواشيه ابراهيم شمس الدين، المجلدون، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان،د ط ،د ت، ص:111.

وماهيته ودوافع إبداعه، وكان لهم كثير من الآراء حول تعريف الشعر، ومقاييس الإجادة في إبداعه ووقعه على المتلقين إضافة إلى مفضلاتهم الشهيرة بين الشعراء، التي ذكروا فيها أسباب إبداع كل شاعر وتفوقه على غيره، سواء كان ذلك في محاورات شفهية وصلتنا في كتب النقد عن طريق الرواة، أم في مؤلفات نقدية منظمة، كما فعل الآمدي في موازنته.

و تدل صحيفة بشر بن المعتمر على اهتمام الناقد بعملية الإبداع الشعري، كما يضع مجموعة من القواعد المهمة التي يجب أن تتوافر في الشعر كي يكون مبدعه ناجحا، كالبعد عن التوعر، واختيار الوقت المناسب ومناسبة المقام للمقال، وفي هذا يقول بشر موجها خطابه للمبدع :" **أن يكون لفظك رشيقا عذبا وفخما وسهلا، ويكون معناك ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا، أما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، وأما عند لعامة إن كنت للعامة أردت والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضح بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب واجرار المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال** "[1]و لقد اختلف النقاد في تحديد آليات الإبداع الشعري، ودور الشاعر في العملية الإبداعية، فهناك من النقاد من أرجع العملية الإبداعية للشعر إلى أسس فطرية، لذلك اعتبروا الطبع ملكة الإبداع.

إذ يرى **ابن قتيبة** أن الإبداع الشعري يأتي من المطبوع ومن المتكلف، إذ يقول في هذا السياق :" و**المطبوع من الشعر من سمع بالشعر، واقتدر على القوافي، وأراك في صدر بيته عجزه وفي فاتحته قافيته، وتبين على شعره رونق الطبع ووشي الغريزة** " فالشاعر المطبوع يحمل من الموهبة والغريزة، ما يجعل الشعر عنده ينطلق كمن يتلقى رسالة من وحي، وكأن كلماته تخرج وحدها دون أي عائق، و هذا خلاف للشاعر المتكلف الذي يحتاج إلى "**طول التفكر وشدة العناء، ورشح الجبين** " [2]

و المتكلف بتعبير **ابن قتيبة** :" **هو الذي قوم شعره بالثقاف ونقحه بطول التفتيش وأعاد فيه النظر بعد النظر** "[3]

[1] الجاحظ، البيان والتبين، ص 86.

[2] ابن قتيبة ،الشعر والشعراء ، ص37.

[3] المصدر السابق ، ص29.

فنظره **ابن قتيبة** إلى الإبداع الشعري لا تختلف عن نظرة **بشر** إلى قضية الإبداع باعتبارها مهارة مكتسبة كغيرها من الصنائع تحصل بالتعلم والممارسة، كما يوافق هذا الرأي الجاحظ إذ يقول في هذا السياق :" **الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير** "[1]

فالجاحظ يرى أن الإبداع الشعري صنعة كبقية الصناعات، ولم يفت الجاحظ أيضا النظر في مسألة الطبع والتكلف فأحسن الشعر عنده "**ما كان صحيح الطبع بعيدا عن الاستكراه، ومنزلها عن الاختلال مصونا عن التكلف** "[2]

و أساس الإبداع الشعري عند الجاحظ يتمثل: **في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج وكثرة الماء**"[3]

و يتضح من كلامه أن الطبع هو القوة المبدعة للشعر، والذكاء هو العنصر الأساس، فمن دونه لا يمكن أن يتحقق الإبداع، فالطبع عنده هو الملكة التي لا يمكن أن يتم الإبداع الشعري بدونها.

أما الاختراع فقد عرفه ابن رشيق بقوله:" **والمخترع من الشعر هو ما لم يسبق إليه قائله، ولا عمل أحد من الشعراء قبله نظيره، أو ما يقرب منه** " [4]

و نفهم من هذا القول أن الاختراع هو ابتداء الشيء والسبق إليه.

و لقد أعطى في ذلك مثال لامرئ القيس :

سموت إليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالا على حال [5]

و قد علق على ذلك بقوله :" **فانه أول من طرق هذا المعنى وابتكره، وسلم الشعراء إليه فلم ينازعه أحد اياه** "

و قوله :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العتاب والحشف البالي

[1] الجاحظ، البيان والتبين، ج 2، ص 444.

[2] المصدر نفسه، ج 59/1.

[3] المصدر نفسه، ج 2، ص 444.

[4] ابن رشيق، العمدة، ج1،ص 288.

[5] المصدر نفسه،ج 1، ص228.

و له اختراعات كثيرة يضيف عنها الموضع وهو أول الناس اختراعا في الشعر وأكثرهم توليدا.

ومن الاختراع قول طرفة يصف السفينة في جريها :

يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم الترب المفائل باليد

و عليه فان الاختراع عنده يعني الخلق، ويتضح هذا من قوله " الاختراع وهو خلق المعاني التي لم يسبق إليها والإتيان بما لم يكن منها قط.

كما أضاف ابن رشيق مصطلحا آخر قريب من هذا المعنى، وهو التوليد وقد عرفه بقوله :" أن يستخرج الشاعر معنى من معنى شاعر تقدمه أو يزيد فيه زيادة، فذلك يسمى التوليد، وليس باختراع لما فيه من الاقتداء بغيره

أما في مصنفه قراصنة الذهب فقد عرف الإبداع والاختراع بقوله "**وما كثر هذه الكثيرة، وتصرف الناس فيه هذا التصرف لم يسم آخذه سارقا، لأن المعنى يكون قليلا، فيحصر ويدعى صاحبه سارقا مبتدعا فإذا شاع وتداولته الألسن بعضها من بعض تساوي فيه الشعراء إلا المجيد فان له فضله أو المقصر فان عليه درك تقصيره إلا أن يزيد فيه شاعر زيادة بارعة مستحسنة يستوجبه بها ويستحقه على مبتدعه ومخترعه**"[1]

ثم يواصل كلامه فيقول:" **وكذلك ما كان المعاني الظاهرة المعتادة، فإنها معرضة للإفهام متسلطة على فكر الأنام ومن هنا قل اختراع المعاني، وقلت السرقات فيها وصارت إذا وقعت أشهر** " [2]

فمن خلال هذه الأقوال يتضح لنا أن المعاني المخترعة تكون على مستوى العبارات التي هي الألفاظ، أما المعنى فيبقى لمخترعه الأول.

وما نلاحظه على هذه القضية، أن ابن رشيق لم يعالج هذه القضية من الباب الواسع، وإنما لمح لها وذلك في فقرتين من خلال مصنفة فلو درس ابن رشيق هذه القضية النقدية الكبير

[1] – ابن رشيق، قراضة الذهب،ص 22.

[2]–المصدر نفسه، ص23.

من جزئياتها الأولى ليقف على العوامل والأسباب التي تبعث على اختراع المعاني الأدبية عن الأديب السابق المخترع.

والتي تعين على الوحدة والزيادة في المعنى عند الأديب اللاحق المحتذي كما أنه لم يدرس بيئة الأديب زمانا ومكانا، كما انه لم يدرس العاطفة وخيال الصورة وهو ما يسميه النقاد بالبناء الشعوري [1]

فمن خلال دراستي لهذه القضية، وجدت أن ابن رشيق لم يتطرق كثيرا لهذه القضية، مثلما تطرق إلى قضية السرقات، وما نلاحظه على هذه الدراسة هي أن ابن رشيق كان عالما بالشعر وعارفا بفنونه ومدركا لإبداعات الشعراء، كما أنه مسير بين المبدع منهم وغير المبدع ولقد كان هذا التميز بمهارة فائقة وقدرة بالغة.

[1] ينظر محمد بن سعد الدبل، المقاييس البلاغية والنقدية في قراصنة الذهب، ص154.

الخاتمة

وبعد هذه الجولة في مصنف **ابن رشيق القيرواني** ،في تاريخ النقد العربي، والتي حاولنا من خلالها إظهار مجموعة من الآراء النقدية، وذلك في مصنفه **قراضة الذهب**، فمن الصعب القول أننا ألممنا بما فيه كفاية بفكر **ابن رشيق**، وما يميز آراؤه النقدية، لأن مصنفه **(قراضة الذهب في نقد أشعار العرب)** يعد بمثابة موسوعة نقدية وذلك بالنظر إلى المادة الغزيرة التي يتوافر عليها والتي كلما تنبهت إلى شيء منها غابت عنك أشياء.

وبعد هذه النظرة التحليلية المتواضعة التي ألقيناها على هذا الكتاب، نرى من الضروري تقديم عرض ختامي، كخلاصة لأهم ما ورد في ثنايا هذا البحث:

تناول **ابن رشيق** موضوعا عاما شاملا ، وهو السرقات الشعرية بحث وفاه حقه من الدراسة، والبحث فيه وفق منهج علمي دقيق وشامل، بعد إن تناوله من قبله بصورة ناقصة، ويعد مفهوم السرقات من أبرز المفاهيم التي سمحت للنقاد بالخوض في العديد من القضايا.

كما زخرت العديد من الكتب النقدية القديمة بمصطلح السرقات وأنواعها، فقد مثل الأداة المعرفية لصوغ الأحكام النقدية، فلا يكاد يخلو أي مؤلف نقدي من كلمة سرقة سواء بين دفتيه أو كعنوان على الغلاف.

غير أن قضية السرقات عند **ابن رشيق** أعاد جمعها إلا انه تميز عن النقاد السابقين بتحديد معانيها وتدعيمها بأمثلة وحدد المواضع التي يستحسن فيها الأخذ، ووضح ما يعتبر معاني متداولة وما يعتبر سرقة حقيقية .

فالسرقات الشعرية ارتبطت عند ابن رشيق بالإبداع الشعري وحسن الإتباع نتيجة حفظ ديوان العرب، والأخذ منه بما يحرك الطاقة الكامنة في الذات المبدعة أو عن طريق التمييز الفطري في اختراع المعاني، وقد انتهى ابن رشيق في هذه القضية إلى ما انتهى إليه **الحاتمي، الآمدي والجرجاني وعبد الكريم النهشلي** ذلك أن السرقات لا تكون إلا في البديع المخترع الذي

اختص به شاعر بعينه و لعل مايشاكل السرقات هو ما نسميه اليوم في النقد المعاصر "بالتناص".

هذا المفهوم الحديث القادم من الغرب لم يكن بمنأى عن اهتمام النقد العربي القديم ولكن تناوله تحت مسمى السرقات، بما انطوى عليه من تقسيمات وأنواع ذات طبيعة أدبية نقدية كما وردت عند **ابن رشيق**، كما تخطى في مصنفه **قراضة الذهب** الآراء الكلاسيكية حيث خرج من النقد القديم ومفاهيمه إلى مفهوم الخلق الشعري، إذ حرص على إيراد الشواهد وتمييزها ومقارنتها وموازنتها بغية توضيح مواطن الإبداع، الإتباع والأخذ والتأثر .

كذلك أشارت في هذه الدراسة إلى عدد من القضايا النقدية الأخرى بطريقة موجزة على حسب ما نهجه **ابن رشيق القيرواني** كحديثه عن قضية اللفظ والمعنى، حيث جاء ذلك مجملا موجزا لم يتجاوز ذكر بعض النعوت للمعاني، والألفاظ وذلك من خلال هذا اللفظ رقيق عذب وهذا معنى بديع نادر .

فعلى الرغم من أنه لم يخصص له جزء كبير كما فعل في قضية السرقات الشعرية، إلا أن آراؤه في هذا الشأن لها وزن ثقيل في النقد العربي القديم، فقد استطاع أن يتمثل أفكار سابقيه بحذق وذكاء.

فمن خلال تتبعنا للآراء النقدية في مصنفة **قراضة الذهب** يمكن الوصول إلى تحديد قواعد عامة اعتمدها **ابن رشيق** في دراسته للشعر ذوقا ومعرفة، يمكن اعتبارها أصولا للنقد عنده وهي :

1-**التحليل:** فابن رشيق يحاول التحليل قبل النقد، وهي صفة لم تكن موجودة في النقد.

-يدعم أحكامه بشواهد حتى تكون صالحة لأن تطبق ما يشبهها من الموضوعات.

-الاعتماد على أحكام النقاد الآخرين، ومن خلال هذا يتمكن القارئ من الإطلاع على آراء مختلفة يكون فيها مجال الخيار واسعا.

2-**المقارنة:**فيفاضل ابن رشيق في المعاني والأفكار، وفي الأسلوب والعبارة ما يزيد عناصر الجمال والصواب وضوحا وبروزا في ذهن القارئ.

3-**الذوق الشخصي: فابن رشيق** يختار النصوص ويقارنها ويحللها فيظهر جوانب الكمال أو النقص في النص سواء من ناحية اللفظ أو المعنى.

وبعد هذه الوقفة المتواضعة عند مؤلف **ابن رشيق** فالزعم بكامل الدراسة، والإحاطة بجوانب الموضوع ضرب من الوهم، وإنما هذه الدراسة تبقى مجرد محاولة بسيطة للكشف عن إسهامات النقاد المغاربة في بناء صرح النقد الأدبي عند العرب

قائمة المصادر

والمراجع

1 بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ،1981 م.

2 البلقلاني، اعجاز القرآن، تح أحمد صقر،دار عارف ، د ت، 1963،

3 الجاحظ، البيان والتبين، تحقيق فوزي عطوي، بيروت، الشركة اللبنانية للكتاب، ط1968،1 م

4 حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء. تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة

5 رابح بونار،المغرب العربي تاريخه وثقافته ،الطبعة الثانية،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1981،

6 ابن رشيق، القيرواني، **نموذج الزمان في شعراء القيروان**، جمع وتحقيق محمد العروسي، ويثير البكوش، الدار التونسية للنشر، تونس.

7 **العمدة في محاسن الشعراء وآدابه ونق**ده، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط الأولى 2001. المكتبة العصرية، بيروت.

8، **قراضة الذهب في نقد أشعار العرب**، تحقيق الشاذلي بويحي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1972

9 عبد الرؤوف مخلوف، ابن رشيق القيرواني، عن القسم الرابع من الذخيرة مصورة عن مخطوطة بمكتبة الجامعة المصرية .

10 ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمد شاكر،جامعة الامام محمد بن سعود الرياض، د ط، دت،

11 ابن طباطبا، عيار الشعر، تحقيق عباس عبد الستار، مراجعة نعيم زوزو، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 1982،

12 ابن فارس أبو الحسن أحمد بن زكريا الرازي : معجم مقاييس اللغة، وضع حواشيه ابراهيم شمس الدين، المجلدون، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان

13أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق وتعليق عبد المنعم الخفاجي، دار الكتب العلمية . بيروت.

14 ابن قتيبة : الشعر والشعراء، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، 1985

15**المبرد**، الكامل في اللغة والأدب، مكتبة المصطفى، د ط،، د ت، ص 216.

16 محمد بن سعد الدبل، المقاييس البلاغية والنقد في قراضة الذهب في نقد أشعار العرب، ط 2، 1431، 2010 م.

17 ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين : **لسان العرب**، "مادة بدع "، دار صادر، بيروت، ج8،

18 محي الدين، ديب، ديوان ابن رشيق القيرواني، لبنان، بيروت ، المكتبة العصرية، 1998

19 لأبي هلال العسكري ، الصناعتين ، تح علي محمد البجاوي، ومحمد الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت، 1406ه،1986،

20 القاضي الجرجاني،الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق احمد عارف الزيف،دون طبعة، صيدا، 1331ه .

14 ابن قتيبة : الشعر والشعراء، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، 1985

مذكرات:

الملتقى الوطني الأول حول النقد الأدبي الجزائري، جامعة المسيلة الجزائر ،22.21 ماي 2009. 1

مذكرة تخرج لنيل درجة الماجستر في الأدب المغربي القديم للطالبة فريدة مقلاتي تحت اشراف الدكتور محمد زرمان . جامعة الحاج لخضر . باتنة السنة الجامعي 2009/2008